روايات

ألحان

ALHAN

بعد ١٥ سنة ... ؟!

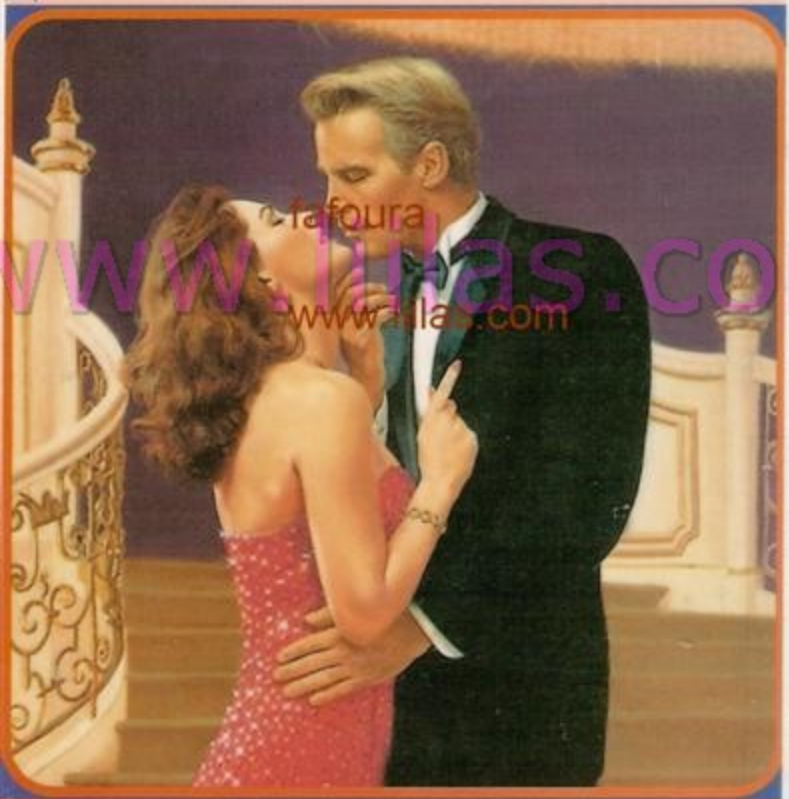

fafoura
www.alhas.com
www.alhas.com

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج	CanadA	5$
سوريا	٧٥ ل	الامارات	١٠ د	المغرب	١٠ د	U.K	1.5
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د	France	15F.F
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١.٥ د	Greece	1200Drs.
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر	CYPRUS	1.5 P.

أخفت "راشيل" عن ابنتها غير الشرعية "لورا" حقيقة والدها وكذلك عن أبيها وأمها . عدت ذلك سرا تخفيه على الأيام .

لم يفلح في استنتاج اسم هذا الأب غير الشرعي .. حيلة ولا تهديد وظلت تكابد المتاعب النفسية خمسة عشر عاما .

وتسوق المصادفات الأب الغائب راغبا في الزواج بها ، ولكن الأم تحجم عن ذلك حتى يثور ويجمع ملابسه راغبا في الهرب ولكنها تتمسك به وتلقي بمفاتيح سيارته في النافورة .

وكان اللقاء .

www.lilas.com

الفصل الأول

وقفت "راشيل" تتامل "المسيسبي" مستندة إلى الحائط الحجري المطل على الشاطئ الصخري . كانت سهول "ويسكونسن" ممتدة على مرمى البصر . على يمينها وخلفها كانت توجد "ديبيك" حيث كانت تعيش منذ زمن بعيد . لكنها كانت تفضل ألا تنظر في هذا الاتجاه . ليس بعد.

تذكرت وعيناها مثبتتان على النهر العظيم ، الليالي التي احتضنتها هي "وبن" وكان هذا المكان ملجاهما في حديقة "إيجل بوينت" . كانا يلتحفان بظلمة الليل ويكتشفان معا عالم الرغبة الغني عند المراهقين .

شعرت "راشيل" بوجود شخص خلفها .

- هذا المكان رائع يا أمي . أراهن على انه كان مكان نزهة العاشقين .

التفتت السيدة الشابة نحو ابنتها "لورا" ذات الأربعة عشر ربيعا كانت ترتدي "تي شيرت" واسعا جدا يكاد يغطي الشورت وهي حافية القدمين ، وكانت تمسك في يدها صندلا من الجلد .

رددت "راشيل" وهي تعيد بصرها إلى النهر :

- نزهة العاشقين . أعتقد أن هذه الجملة لم يعدلها استعمال الآن .

- يا أمي . لابد أن لك دافعا قويا لرغبتك في الوقوف هنا قبل أن تذهبي إلى منزل جدي وجدتي ، أراهن انك قد مررت بلحظات حميمة هنا مما جعلك تتوقين شوقا لرؤية هذا المكان مرة أخرى .

رفعت "راشيل" بصرها نحو السماء . تذكرت ليالي الصيف ، والنجوم اللامعة في سماء صافية ، والنسيم العليل يهز وريقات الشجر . تذكرت حبا عنيفا كاد أن يقضي عليها .

قالت :

- عندما كنت في سنك ، كانت الأمور مختلفة تماما .

لم أكن أتمتع بما تتمتعين به أنت من حرية .

- هيا ، اعترفي يا أمي ، كنت تاتين هنا خلسة وإلا فلماذا كل هذه المواربة ؟

- وماذا لو أردت فقط أن أودع المكان ؟

- لماذا ؟

- عندما يرحل جداك عن هنا لن آتي إلى هذا المكان إلى "ديبيك" لقد كنت سعيدة هنا .

قالت الفتاة وهي ترفع نظارتها الشمسية فوق جبينها :

- هذا ليس ماررتده على مسامعي دائما . لقد كنت تتحدثين عن "ديبيك" ، كأنها أسوأ مكان على وجه الأرض .

اعترفت "راشيل" مبتسمة :

- لقد أظلمت الصورة قليلا . لكن كوني ابنة رئيس الجامعة لم يكن بالشيء الهين . كان يلازمني الشعور بأني مراقبة وأن يترقبوا أقل خطا لينقلوه إلى والدي .

هل كان من الغريب إذن أن تهرب مع "بن"؟ ارتسمت على شفتيها ابتسامة فاترة . تهرب ، إنها فعلا الكلمة الصحيحة ، مثل عصفور الكناريا الذي يهرب من قفصه ليكتشف الفضاء الفسيح .

www.liilas.com

سالتها "لورا" وهما يعودان إلى السيارة :

- ماذا كان اسمه ؟

- من هو إذن ؟

- الرجل الذي كنت تاتين معه هنا .

فتحت "راشيل" باب السيارة وصعدت داخلها. لسع ساقيها المقعد .

- هل كان أبي ؟

- إيه حسنا، بما أنك كنت حاملا بالفعل عندما ذهبت لتعيشي عند العمة "ماري" . فقد قابلت أبي هنا إذن .

- نعم !

في لحظة . لم تعد "راشيل" تلك المراة ذات الواحدة والثلاثين بل الفتاة التي أبعدتها أسرتها عند بعض الأقارب حيث وضعت طفلها في مدينة مجهولة . تحسست "راشيل" المقعد حتى وجدت المفاتيح التي كانت قد سقطت منها وانطلقت بالسيارة بعيدا عن الحديقة .

استطردت "لورا" شاردة الذهن :

- كنت اتساءل : إذا كان بإمكاني أن أراه مصادفة أم لا .

عدم معرفتي من هو أبي لم تسبب لي أي مضايقات حتى الآن لقد أحببت "ديفيد" تماما حتى إني نسيت أنك قد تزوجته عندما كنت في الرابعة .

- لقد أحبك كما لو كنت ابنته الحقيقية.

أومأت "لورا" برأسها في حزن ونظرت إلى المشهد العابر .

منذ أكثر من عام تعرض "ديفيد" لأزمة قلبية مازالت ذكراها تشكل ألما بالنسبة لهما . ليس هناك جدوى إذن من الإضافة إلى أحزان "لورا" بعدم الرد على أسئلتها .

- ليس هناك أمل في رؤية والدك . لقد كان يقضي عطلة الصيف عند بعض الأقارب . وعندما رحل ، لم أكن أعرف بعد أنني حامل .

توقفت السيارة عند الإشارة ثم سلكت طريق "دودج" .

قالت "لورا" بصوت ضعيف :

- إذن فهو لم يعرف عني أبدا ؟

- لا .

- ألم تحاولي الاتصال به عن طريق أولاد عمه في "ديبيك" ؟

عضت "راشيل" على شفتيها.

- لقد أتيا إلى "ديبيك" قبل ذلك بشهر تقريبا . عندما أصيب والد "راشيل" بوعكة . ثم أقاما أياما قلائل بعد ذلك للاحتفال بعيد رأس السنة أو أعياد الميلاد . لكن هذه الرحلة ، لأنها كانت وفقا لكل الحقائق الأخيرة ، تميزت بطبيعة خاصة .

عندما كانت تنظم لها ، عرفت "راشيل" أن عليها مواجهة أسئلة ابنتها .

- لقد حصلت على عنوانه وكتبت . لم يجب عنها أبدا .

- إذن ، ربما يعرف بوجودي .

أجابت والدتها بثقة :

- لا ، لو كان يعرف لعاد ، إني متأكدة من ذلك . أعتقد ، أن خطابي لم يصل إليه على الإطلاق .

كانت صورة "بن" مازالت منقوشة في ذهنها :

"شعره الأسود ، عيناه الخضراوان ، قوامه الفارع ، شقي لكن حنون".

رددت "راشيل" في نفسها - كما كانت تفعل طوال هذه السنين- "لوكان يعرف لعاد" .. لما تركها تواجه بمفردها هذا الاختبار.

لكن طفا إلى ذهنها ذكرى عراكهما الأخير والشكوك التي رسختها في نفسها .

سالتها "لورا" :

- ألاتريدين أن تخبريني باسمه؟

التفتت "راشيل" نحو الفتاة المراهقة . لقد اعتادت أن ترى عينيها خضراوين مثل عيني أبيها لكن منذ فترة بسبب عدساتها اللاصقة الملونة ، كان لون عينيها بنفسجيا .

www.liilas.com

-ربما في يوم ما .

تنهدت "لورا" باستسلام :

- لكن ليس اليوم ؟

- لا ، ليس اليوم . اسمه لايعني شيئا بالنسبة لك . إنه ليس مشهورا .

- لكني لن استطيع أن أجده مالم أعرف اسمه .

رددت "راشيل" مفزوعة :

- تجدينه ؟ ماذا تقصدين؟

- أعتقد أني ساحب أن أراه يوما ما . ربما سيكون ممتنا إذا عرف أن له بنتا .

- لكن من المحتمل أن يكون ذلك صدمة بالنسبة له .

رفعت "لورا" كتفيها :

- إني أعتبر "ديفيد" مثل والدي أما الآن وقد مات ، فيزداد تفكيري في أبي الحقيقي . سيكون أمرا رائعا أن نجده ونكون عائلة بحق ، أليس كذلك ؟

رأت "راشيل" - بطرف عينيها - الأمل يضيء وجه "لورا" . كيف لفتاة متزنة ، أكثر نضجا بالنسبة لسنها مثل "لورا" أن يداعب خيالها حلم مستحيل التحقيق؟

- احتمال كبير أن يكون قد تزوج وأن له عائلة ياعزيزتي .

ربما يكون قد مات . وعلى أية حال ، كيف تريدين العثور عليه ؟

بأن تقلبي صفحات كل دليل في المدن الكبيرة ؟ وماذا لو لم يكن في الدليل؟

"راشيل" تعرف مسبقا أن اسمه ليس مدرجا في دليل "سانت لويس"، لقد بحثت عنه في ليلة سهاد بعد موت "ديفيد" بقليل . ماذا لو كان اسمه مدونا في القائمة الحمراء ؟ فكرة مفزعة أن تفكر في احتمال وجودها على بعد بضعة كيلو مترات من "بن" ، ولا تستطيع أن تعرف ذلك .

أخيرا اقتنعت أن ذكرى "بن" قد عادت إلى وجدانها بسبب الوحدة التي تعانيها بعد موت "ديفيد" . كانت قد طردته من عقلها حتى استبدل والدها برئيس جامعة جديد.

اليوم ، جاءت هي و"لورا" لتساعدا الأسرة في الانتقال من المسكن . ستفقد "راشيل" المنزل الذي شهد طفولتها والأماكن التي تحمل ذكرياتهم العزيزة: الحديقة حيث كانت تتقابل مع "بن" في سكون الليل، وظلال الأشجار الذي كانت تلوذ به وتقضي يومها في الحلم بـ"بن" .

سألتها "لورا" فجاة :

- هل يعرف جدي وجدتي من هو ؟

- لا.

كانا يعرفان "بن" بما أنه ابن أخ "دين هيلي" عميد الجامعة ، لكن كانت "راشيل" ترفض دائما رغم ثورة والديها أن تفصح لهما عن والد طفلتها .

كانت قد قابلت "بن" أول مرة أثناء رحلة نظمتها الجامعة . شعرت على الفور بانجذابها إليه . لقد استشفت في عينيه الزرقاوين المائلتين إلى الخضرة - الإنسان الحنون ، رقيق المشاعر المختفي خلف ملابسه وسلوكه المثير .

مازال متاثرا بموت والديه قبل خمس سنوات عندما كان في السادسة عشرة ، كان "بن" يتخذ من إفراطه في عدم اللياقة وسيلة للتعزية . أرادت "راشيل" أن تخفف الامه لكن بعد قليل كان قد انجذب كل منهما للآخر بشعور أقوى ، ورغبة لايستطيع العقل أن يطفئها .

خشيت أن يمنعها والدها من رؤية "بن" ، كما منعها من رؤية أولاد آخرين "يفوقونها في السن بكثير" ، "غريبي الأطوار" أو يتخيل فيهم أي نقيصة أخرى . كان شعورها تجاه "بن" قويا لدرجة أنها أرادت أن تحتفظ به لنفسها . وعندما بدأ يخرجان معا أقنعته أن يظل لقاؤهما سرا . في أعماق الحديقة .

لم يرق لـ"بن" هذا التصرف في أن يتقابلا من وراء ظهر أسرتيهما

www.liilas.com

كان يحب "راشيل" هذا ماكان يقوله ولم يكن يخجل من ذلك . لكن كانت الفتاة تعلم أن والدها إذا عرف بقصتها فسيجبرها على هجره . كانت ترغب في الاستمتاع بهذه السعادة حتى نهاية الصيف . ثم رحل لدراسته الجامعية وهو يرفض أن يكتب لها بدون علم أسرتها . كانت "راشيل" متأكدة أنه سيرجع عن هذا القرار ، فانتظرت منه خطابا لكن دون جدوى . عندما قررت أن تكتب له ، كان قد فات الأوان . لابد أن "بن" قد القى بخطابها دون أن يقرأه .

ركنت "راشيل" سيارتها وأوقفت المحرك . كانا قد وصلا .

كانت تشعر باختناق بسبب جو أغسطس الحار . لم تكن تعرف سر هذا الشعور بعدم الارتياح .

قالت "لورا" :

- أعشق هذا المكان .

كان المنظر العام ريفيا : شجرة اللبلاب تتسلق واجهات المباني المختفية وسط أشجار البلوط الضخمة . وهناك خلف مكتبة الجامعة يقبع البيت المبني من الطوب الأحمر حيث قضت "راشيل" سنوات طويلة من عمرها . كان كل شيء هادئا . كانت الصورة المثالية لحرم جامعي صغير كما كان لمؤلف من "هو ليوود" أن يتخيله . لماذا تشعر "راشيل" إذن بالم في معدتها ؟

كانت "لورا" قد نزلت بالفعل من السيارة . تبعتها والدتها ، بقلب مقبوض . أخرجتا حقائبهما وتوجهتا نحو منزل العائلة .

مبنى واسع مزود بشرفة ممتدة بطول الواجهة . لقد نقش في ذاكرة "راشيل" أدنى علامة في حائط الممر . تعلم في هذا المكان أن تفعل المزلاج ذو البكرات .

في البداية ، كانت تترنح عند هذه الربوة ثم اعتادت أن تقفز من موقعها دون أن تفقد اتزانها . ياله من إنجاز !

لايبدو أن شيئا قد تغير هنا . الأشجار الكثيفة مازالت تظلل الممر ، والحشائش مازالت صفراء كما كانت دائما في مثل هذا الوقت .

شعرت "راشيل" أنها قد عادت إلى الماضي ، كما لو كانت لم ترحل أبدا.

كان الباب مفتوحا.

نادت "راشيل" :

- أمي ؟

لم تجد من يجيبها .

قالت "لورا" :

- ربما تكون بالخلف في الحديقة .

بينما كانت "راشيل" تضع حقائبهما ، عبرت ابنتها الصالة متجهة إلى المطبخ .

نادت قبل أن تختفي :

- جدتي !

اختفى صوت أقدام "راشيل" فوق السجادة الخضراء الداكنة. كم كان غريبا أن تتخيل أحدا آخر سيشغل هذا المسكن. ربما فتاة صغيرة أخرى ستتعلم المزاليج ذات البكرات في الممر.

لم تكن "راشيل" تعيش في ذلك المنزل منذ سنوات طوال ، لكن بشكل ما كانت مازالت تشعر بالألفة في هذا البيت .

وبدلا من أن تتبع "لورا" ، ذهبت وفتحت باب مكتب والدها . كانت الحجرة فسيحة على الرغم من ذكريات طفولتها التي بالغت في تقدير حجم الحجرة .. اقتربت "راشيل" من المكتب وتحسست المقعد المكسو بالجلد الذي طالما جلس فيه والدها ساعات طوالا من البحث والدراسة لكن لم يعد غليونه على الرف الذي اعتاد أن يضعه عليه . كان هناك بدلا منه ساعة إلكترونية . وبالقرب من النافذة جهاز حاسب آلي . كانت الأرض مكدسة بصناديق بها كتب ، في انتظار صفها على الرفوف الخاوية ، لم يعد هذا المكتب مكتبا لوالدها . لقد وضع الرئيس الجديد أغراضه بالفعل .

وفجأة شعرت "راشيل" أنها دخيلة على المكان فهمت بالخروج عندما ظهر رجل على عتبة الحجرة . كانت قد شعرت بوجوده قبل أن ترى

www.liilas.com

كتفيه العريضتين وعينيه بلونهما الأزرق المائل للخضرة .

خفق قلبها بشدة .

عينا نمر تحدهما أهداب طويلة سوداء . عينان حدثتاها بالحب عندما لم تكن الكلمات كافية . عينان كانت العاطفة تظللهما عندما كانت تلوذ باحضانه . إنهما نفس عيني "لورا" . ظنت "راشيل" أنها تحلم : هل ماتراه حقيقة ؟

- "راشيل"؟

لا ، إنها لاتحلم . كان صوته أكثر قوة وأكثر عذوبة إلا أنها تستطيع تمييزه من بين آلاف الأصوات . ابتسم ، وانتابتها الرغبة فجاة في أن تذوق شفتيه . تفحصته بعينين متفرستين : شعره مازال أسود لكنه قصير ، حلته كلاسيكية ومحكمة .

خطا خطوة إلى الداخل . كانت تريد أن تسأله عن سبب وجوده هنا، أبت الكلمات أن تخرج من بين شفتيها .

في هذه اللحظة ، دخلت والدتها إلى المكتب بوجه مشرق وأخذتها بين ذراعيها .

- أوه ، عزيزتي ، كم هو جميل أن أراك ! لقد انتظرت مجيئك طوال النهار حتى دق جرس التليفون ليفوتني استقبالك . أرى أنك تعرفت على السيد "هيلي" ، رئيس الجامعة الجديد .

- الرئيس الجديد ؟

استطردت والدتها :

- ربما تذكرينه ، لقد جاء "بن" إلى "ديبيك" في الصيف . كان يسكن عند عمه العميد "هيلي" .

قال "بن" :

- كان هذا منذ زمن بعيد .

شعرت "راشيل" بالاضطراب . تدافعت الذكريات في ذهنها ، كانت تتحرق شوقا أن تلمسه . إنها اليوم امراة ناضجة مسؤولة تعرف السيطرة على تصرفاتها ومشاعرها . وعلى الرغم من ذلك، تحت نظرات

"بن" ، كانت تشعر أن عنفوان شبابها قد استعاد ذروته . تنهدت بعمق قبل أن تتكلم .

قالت :

- أنا سعيدة لرؤيتك مرة أخرى . يابروفيسور"هيلي" . كان ذلك منذ زمن طويل حقا .

أجاب :

- ناديني "بن" . نعم .. إنه زمن بعيد .

ماذا أراد أن يقول ؟ إنه افتقدها ؟ لم تطرح عليه هذه الأسئلة . الماضي هو الماضي .

- لاتظن أنني جئت لأعبث في مكتبك . كنت أبحث عن والدتي ، جاهلة أنك قد نقلت أغراضك إلى هنا بالفعل .

- تأكدي من أنها مفاجأة سعيدة أن أراك هنا . كان هذا البيت بيتك مدة سنوات عديدة . فلا تعتقدي أنه لم يصبح كذلك لمجرد أنني أدخلت بعض الصناديق في ركن منه .

قالت "جيسيكا" ضاحكة :

- على أية حال لم يكن لديها الحق في الدخول إلى هنا وهي طفلة . كما كان الحال بالنسبة لي . لست أدري لماذا جئت .. لتبحثي عني في هذه الحجرة ؟

- من يسمعك يا أمي يظن أنني متطفلة .

استدارت نحو "هيلي" .

- تفضل لتتناول العشاء معنا هذا المساء . سيكون طعاما بسيطا لكننا سنسعد كثيرا إذا جئت .

أجاب وعيناه مثبتتان على "راشيل" :

- كل السعادة لي

أرادت السيدة الشابة أن تهرب من نظراته الفاحصة .

- أود أن أستنشق بعض الهواء يا أمي ، قولي لأبي : صباح الخير.

كانت بحاجة إلى أن تتنفس وتهدئ هذه الرغبة التي طفت فجاة إلى

www.liilas.com

السطح من أعماق الماضي . زاد صوت أقدام "لورا" الحافية في الصالة من غيظها . لابد أن تكسب بعض الوقت .

سألت أمها وهي تتجه نحو الباب :

- أي الغرف خصصت لنا ؟

- نفس الغرف كالمعتاد .

رفعت "چيسيكا حاجبيها في دهشة كما لو كانت تستعد لتنهر فتاة في السادسة عشرة لتصرفها غير المهذب .

قالت "راشيل" لـ"بن" :

- سأراك هذا المساء .

غادرت الغرفة دون أن تدع له الفرصة لكي يجيبها . كانت "لورا" في المدخل . "لورا" ، ابنتها الحبيبة التي سألتها عن هوية أبيها .

- سنضع الحقائب في الطابق العلوي ياعزيزتي ثم سنبحث عن جدك .

انحنت "لورا" قليلا محاولة أن تلقي نظرة على حجرة المكتب.

قالت :

- أسمع أصواتا . هل هناك أحد مع جدتي ؟

-نعم ، والدك .

خفق قلب "راشيل" بشدة . لماذا عاد إلى "ديبيك"؟

كادت تعترف بانها مخطئة . لكن أن ترى "بن" من جديد وتشعر بنظراته تتاملها : هل من الممكن أن يكون ذلك خطا ؟ على العكس ألم يكن ذلك ماتمنته منذ زمن بعيد ؟

أجابت :

- نعم . إنه البرفيسور "هيلي" . رئيس الجامعة الجديد .

دهشت "راشيل" من نفسها بسبب هدوئها وسيطرتها على طريقة إجابتها . منذ متى اكتسبت هذه المهارة في إخفاء مشاعرها الحقيقية؟

- ستتعرفين عليه هذا المساء . دعته أمي على العشاء .

كانت هذه الفكرة كافية لإزعاج "راشيل" ، أما "لورا" فاكتفت بان رفعت

fafoura
www.liilas.com
www.liilas.com/vb3

كتفيها قبل أن تلتقط حقيبتها .

تمتمت الفتاة :

- عظيم . هانحن وصلنا لتونا حتى نتورط في عشاء مع بروفيسور عجوز .

فكرت "راشيل" :

- ليت البروفيسور الجديد كذلك !

الفصل الثاني

انتهى "بن" من وضع كتبه على الرف . ورجع خطوة إلى الوراء ليرى نتيجة عمله . إنه يسمي ذلك تنظيما .. الروايات مختلطة مع كتب النقد مع الكتب المتخصصة في فوضى تامة .

أين ذهب عقله بحق السماء ؟

لم يكن من الصعب أن يخمن ذلك . كان يفكر في عينين زرقاوين رائعتين وقوام انثوي نحيف . انزل من على الرف بعض الكتب وبدا العمل من جديد .

كان يعرف أن "راشيل" ستاتي . لم تكن "چيسيكا" تتحدث إلا عن مجيئها طوال الأسبوع الماضي ، وفي حماسها اجابت عن اسئلة لم يكن يجرؤ على طرحها . ياله من شعور غريب ، بعد كل هذه السنين ، أن يسمع عن "راشيل" من جديد! كلا . إنه لم ينسها قط !

من الصعب عليه أن يتخيل المراهقة التي عرفها . لقد اصبحت زوجة وأما . أن يتخيلها تبتسم لزوجها وقت الإفطار أو توصل ابنتها إلى المدرسة . قال في نفسه "لابد انها قد تغيرت" وذلك قبل أن يراها

ببضعة أيام . لابد أن جمالها المبهر قد بهت ، مثل هذا الشعر الذهبي الذي فقد بريقه مع مرور الزمن .

لكنه كان مخطئا . نظرة واحدة ، وكان قد أدرك أن الفتاة النشطة ، مرهفة الحس لم تختف . لكنه قد قرأ أيضا في عينيها الزرقاوين الكبيرتين مسحة حزن . لقد عرف - مما افضته إليه "چيسيكا" - أنها قد فقدت زوجها العام الماضي .

نادته "چيسيكا" :

- "بن" سيكون العشاء جاهزا خلال دقائق إذا كنت مستعدا للانضمام إلينا .

أجابها وهو يضع الكتاب الذي مازال بين يديه :

- إني آت .

عبر الاثنان الصالة ، هذه الصالة التي جلس بها كثيرا الأيام الماضية إلا انها بدت له اليوم مختلفة ، كما لو أن حضور "راشيل" قد اضفى سحرا خاصا على المكان .

قال مندهشا من أن يترك افكاره تعبر عن نفسها بحرية :

- لقد أسعدني أن أرى "راشيل" مرة أخرى .

- نعم ، أود لو انها سكنت هي وابنتها بالقرب مني .

دلفا إلى حجرة المعيشة . ولخيبة أمله ، لم تكن "راشيل" بها .

قالت مضيفته :

- هل تريد عصير التفاح قبل العشاء ؟

- نعم ، إذا كنت ستشربين انت ايضا .

بينما كانت تسكب العصير ، توجه "بن" نحو الخزانة ذات الرفوف القابعة في مؤخرة الحجرة . جذب انتباهه مجموعة صور كانت صور "راشيل" منذ أن كانت طفلة نضرة إلى أن أصبحت الفتاة الرشيقة التي سلبت قلبه في ذلك الصيف .

تامل الصورة الأخيرة طويلا . لقد التقطت عين الكاميرا بمهارة "راشيل" التي عرفها ، هذه النظرة الحانية التي تبرق بلمعة واعدة

www.liilas.com

بالحب .

هذه النظرة التي لم تكف عن مراودة ذهنه منذ حين .

- "بن" .

التفت منتفضا . إنها "راشيل" تقف خلفه وتمد إليه يدها بكوب العصير . كانا بمفردهما في الغرفة .

قالت توضح له :

- لقد ذهبت والدتي لترى إذا كان العشاء جاهزا .

أومأ رأسه واحتسى جرعة من العصير . لم تفقد عينا "راشيل" تأثيرهما عليه .

سألته :

- كيف أصبحت إذن ؟

كان سؤالا طبيعيا وبسيطا . لماذا شعر إذن بالاضطراب ؟

أجابها بصوت قوي حاول أن يصلح منه :

- بخير . العمل كما تعرفين .

التفت صوب النافذة .

سألها :

- وأنت ؟

- أوه ، أنا بخير أيضا .

احتست جرعة من كوبها دون أن ترفع عينيها صوبه . لقد كانت منشغلة جدا .

- لقد أخبرتني والدتك بما حدث لزوجك . أسف لذلك .

أومأت برأسها وبصرها شارد في الأفق .

- إني أفتقده ، كذلك "لورا" . لقد كان رجلا طيبا جدا .

بدا كأنهما لايجدان مايقولانه . لم يندهش "بن" من ذلك . لم يتعرفا إلا فترة الصيف منذ سنين بعيدة .

قالت "چيسيكا" :

- العشاء جاهز . لكن أين "لورا" ؟ ألم تنزل بعد ؟

- إنها ..

سكتت "راشيل" عن الحديث عندما دخلت ابنتها فجأة .

قالت "لورا" :

- أسفة ، لقد تأخرت .

لاحظ "بن" على الفور إلى أي حد تشبه والدتها إلا أنها كانت أكثر مرحا من والدتها .

- لقد توقفت لألقي بالتحية على جدي .

نهرتها "راشيل" برفق :

- "لورا" . ضعي حذاءك إذن .

خفضت الفتاة بصرها على الصندل الذي يتأرجح في يدها .

قالت وهي تضعه في قدميها:

- أسفة يا أمي ، لقد نسيت .

- "بن" ، هذه الفتاة المتشبهة بالأولاد التي تراها أمامك ابنتي "لورا" .

"لورا" أقدم لك السيد "هيلي" ، رئيس الجامعة الجديد .

صافحته الفتاة بأدب .

قالت وهي ترفع - صوبه - عينيها البنفسجيتين الجميلتين :

- كيف حالك ؟ لقد كذبتني يا أمي : إنه ليس عجوزا .

صاحت "راشيل" وقد توردت خجلا :

- لم أقل ذلك على الإطلاق .

قالت "لورا" مبتسمة :

- أنا التي قالت ذلك لكنك لم تصححي قولي .

انفجر "بن" ضاحكا .

- لقد أثبتت "لورا" ثقة بالنفس مدهشة بالنسبة لفتاة في عمرها . بالمناسبة ، لم تبلغ من العمر إحدى عشرة ؟

- اثنتي عشرة ؟

دعتهم "چيسيكا" ليتبوعها إلى حجرة الطعام . توقف "بن" ببصره عند "راشيل" . كيف كانت تبدو وهي في الثانية عشرة ؟ هل كانت

www.liilas.com

جريئة مثل ابنتها ؟ إنه يشك في ذلك : إن حسها المرهف هو ما اجتذبه إليها . كانت تشعر من يقترب منها بعدم الثقة، تثير الرغبة في حمايتها .

أعلنت "چيسيكا" :

- سنتناول العشاء نحن الأربعة . "روبرت" يتبع نظاما غذائيا خاصا ولن ينزل .

سأل "بن" وهو يأخذ مكانا إلى الطاولة :

- كيف حاله ؟ يجب أن أتحدث معه عن المشكلات الإدارية .

- نعم ، إنه على علم بذلك لن تنتظر طويلا .

كان هذا هو ما يتردد على مسامعه منذ أسبوع .

قالت "راشيل" :

- كان مزاجه رائقا عندما شاهدناه أنا و"لورا" عصر هذا اليوم.

يبدو أنه قد استعاد حالته الطبيعية على الرغم من أنه ليس هناك مايعزيه عن ترك جامعته العزيزة .

صمتت عندما أحضرت الطالبة المخصصة لخدمتهم اللحم المشوي والخضر .

- قل لي يا "بن" إذن ...

ثم صمتت وهي محرجة من أن ترفع التكليف بينهما .

- هل أنت متزوج ؟

كان سيعرف من عينيها إذا كان عليه أن يعتبر هذا السؤال رسالة موجهة إليه إلا أنها كانت تأكل وعيناها في طبقها ، هل مازالت تعتز بالأحلام التي تقاسماها في الظلام ، بهذا المستقبل الذي تواعدا بأن يحققاه معا ؟ لكن ألم يخونا هذه الأحلام ؟

أجاب :

- لا ، لست متزوجا . لم أجد الوقت مطلقا لأهتم بذلك .

شعر بأهمية أن يظهر لها أنه لم يأخذ أحلام المراهقة السانجة مأخذ الجد .

- لقد سافرت كثيرا ، وزرت بلدانا مجهولة . عشت وقتا لا بأس به في الشرق والبحر المتوسط .

في البحرية . لكنه لم ير بدا من أن يقول لها هذه المعلومة الصغيرة.

قالت "راشيل":

- أنت محظوظ .

بقيت نبرتها لطيفة إلا أن "بن" قد شعر بحماسها يفتر .

قالت "لورا" بصوت أكثر حرارة :

- أوه ، نحن قد ذهبنا مرتين إلى "شيكاغو" مرة في مدينة "كنساس" ثم في "ديبيك". عندما أكبر سأزور مدنا عديدة .

قالت "راشيل" وبصرها مازال منخفضا :

- لابد أنك ترى "ديبيك" بلدا كئيبا . بعد حياة المغامرات التي خضتها .

أجاب "بن" :

- لقد أحببت دائما هذه المدينة . إني أحتفظ فيها بأجمل ذكرياتي. وأنا سعيد جدا بأن أعود إليها .

تحول وجه السيدة الشابة إلى اللون الوردي .

سألته "لورا" :

- هل كنت طالبا هنا ؟

أود أن أعود إلى مدرستي الثانوية بعد عشر سنوات لأكون مديراً لها.

أول شيء سأفعله هو أن أقيل السيدة "تيرز" مدرسة الرياضيات .

قال "بن" مبتسما :

- لا . قضيت صيفا عند عمتي منذ عدة سنوات . وهكذا قابلت للمرة الأولى والدتك وجديك .

قالت "لورا" مقطبة الحاجبين :

- آه ، نعم .

قالت "چيسيكا ضاحكة :

- يجب أن تقرر أننا سمحنا لك بالحديث معنا . لقد كانت لك طريقة

www.liilas.com

غريبة في الملبس ! مازلت اذكر البنطلون المرتق والصندل الغريب الذي كنت تلبسه .

- اعتقد أن الناس كانوا منزعجين من الموتوسيكل أكثر من انزعاجهم من ملابسي . أصيب عمي "جون" بصدمة عندما رآني فوقه لأول مرة .

- أوه .. لقد أدركت ذلك .

قالت "راشيل" :

- لقد منع أبي ركوب الموتوسيكل بعد رحيلك . لكن بعد أن انتشر استعماله عدل عن قراره .

أجاب "بن":

- من الأفضل عدم الحديث عن انحرافاتي في مرحلة الشباب وإلا اقتحم مجلستنا "هارلي ديفيد سون" .

ابتسمت "راشيل" أما "لورا" فقد بقيت ساكنة.

سأل "بن" نفسه : ماسبب هذا التحول المفاجئ ؟

قالت "چيسيكا" :

- كل المراهقين يمرون بمرحلة تمرد. كان تمردك أنت أكثر إعرابا عن نفسه .

قال "بن" معترفا :

- نعم لقد مررت بسنوات صعبة في هذه المرحلة . بعد موت والدي في حادثة طائرة ، كرهت العالم أجمع . ثم لم أقبل أبدا هذا التقليد العائلي الذي فرض علي أن أنتقل من عائلة إلى أخرى كل صيف .

أما الصيف الذي قضاه في "ديبيك" فقد كان مختلفا . لقد عرفت "راشيل" كيف تهدئ حزنه وتخفف بغضه للحياة . كيف للسيدة التي فعلت الكثير من أجله أن تبدو اليوم بعيدة عنه إلى هذا الحد ؟

- كان "روبرت" سعيدا لأنك لن تقدر أن تفسد أحدا ، بما أن الطلبة في إجازة .

- ربما لهذا السبب يرفض أن يراني اليوم .

ربتت "چيسيكا" يده :

- امنحه بعض الوقت . لم تكن عزلته هذه بسببك . بكل بساطة ، يصعب عليه ترك وظيفته التي كرس لها كل حياته . في هذا الوقت من العام الماضي كان يجهز للنصف الثاني من العام الدراسي ، ويعد محاضرات الأدب الإنجليزي التي درسها دائما . الآن ، لم يبق له إلا ذكرياته .

- مع ذلك ، يجب ترتيب بعض التفاصيل . ستبدأ المحاضرات آخر هذا الشهر .

- إنه يعلم أنك تنتظر . "روبرت" يحب هذه الجامعة كثيرا حتى إنه يدعها تعاني عناده .

اعترضت "لورا":

- جدي ليس عنيدا . على العكس إنه لطيف جدا .

قالت "راشيل":

- عزيزتي .

قالت "چيسيكا":

- نعم، إنه لطيف لكنه يعرف أيضا كيف يكون عنيدا كالكبش العجوز .

بدت "لورا" على وشك البكاء إلا أنها صمتت في وجود الطالبة التي حملت الأطباق الفارغة وجاءت بالحلوى .

قالت "لورا" وهي تنهض :

- ساخذ قطعة حلوى لجدي وأخرى لي ساكلها معه بأعلى .

مرت "چيسيكا" بنظرة غيظ بين ابنتها وحفيدتها .

قالت "راشيل":

- "لورا"، ربما يكون والدك قد تناول الحلوى بالفعل .

لاحظ "بن" ارتعاش يد المراهقة وهي تقطع الحلوى . هل هي غاضبة؟ أم مجروحة لأن في الكلام مايسيء لجدها ؟ إن إجبارها على البقاء لن يفيد في شيء .

قال "بن":

www.liilas.com

- أنا واثق بانه سيقبل هذه القطعة من الحلوى مع هذه الرقيقة الساحرة .

غمز بعينه إلى "لورا" التي أجابته بنظرة فاترة . ظل الجميع صامتين عندما غادرت "لورا" الغرفة .

عبر نافذة حجرة الطعام ، راقبت "راشيل" "بن" وهو يبتعد حتى اختفى في الظلام . ياله من يوم ! لقد جاءت لتقول وداعا لذكريات طفولتها ، وهاهو الماضي يظهر أمام عينيها . كان الجو ثقيلا ينذر بعاصفة .

لقد وضعها تناول العشاء مع "بن" في اختبار قاس .

في سن الثامنة عشرة ، كان "بن" جذابا . ياسر مراهقات عديدات . أما أليوم ، فهو بكل بساطة لايقاوم . ينبعث منه شعور بالثقة ! كم من النساء وأي نوع من النساء فتن لبهن خلال الخمس عشرة سنة الماضية ؟

استدارت على صوت وقع أقدام والدتها التي دخلت إلى حجرة الطعام توا

- لماذا لايريد والدي أن يرى "بن" ؟

أجابت "چيسيكا" :

- لأنه يعاند . ومهما قالت ابنتك . فراسه عنيد كالحجر .

- هل هذا هو السبب الوحيد ؟

بدت والدتها حائرة :

- أي سبب آخر لديه ؟

فكرت "راشيل": الغضب من الرجل الذي تسبب في أن تحمل ابنته في أحشائها ثمرة علاقة خفية .

استطردت "راشيل" :

- روبرت" يرفض تماما مقابلة الرجل الذي سيحل مكانه .

إن رحيله عن الجامعة يسبب له ألما بالغا .

- نعم ، إنه مرتبط للغاية بهذه الجامعة .

حدثت "راشيل" نفسها بأن توجساتها بغير أساس . إذا كان أحد قد أخبر والدها أن "بن" والد ابنتها لكانت عرفت . لم يكن والدها من ذلك النوع الذي يحتفظ بمثل هذا السر لنفسه .

صعدت "راشيل"ووالدتها للطابق العلوي . وجدتا "لورا" وجدها جالسين في الشرفة . أخذت "راشيل"مكانا إلى جوارهما .

- ماذا تدبران إذن أنتما الاثنان ؟

أجاب والدها :

- نشاهد البرق.

- يقول جدي: إن العاصفة ستهب نحو منتصف الليل .الجو ينذر بذلك .

نظرت "راشيل" إلى الأفق . تذكرت مساء مماثلا ، منذ خمسة عشر عاما . كانت هي و"بن" مختبئين خلف المكتبة . وعلى الرغم من تنبؤات والدها أصرت على أن العاصفة لن تهب إلا بعد الفجر.

لكن باغتتهما أمطار غزيرة .. وهما في طريقهما إلى الحديقة . كان "بن" منزعجا وقال حينئذ "ستصابين بالبرد . وماذا سيظن والداها عندما يريانها عائدة في هذه الحالة ؟ أراد أن يرافقها إلى منزلها ، أن يتحدث مع والدها، أن يصرح له بما بينهما من مشاعر ويطلب منه أن يراها في النور.

عاد بها صوت "لورا" إلى الواقع .

- يستطيع جدي أن يجد عملا في التليفزيون كخبير أرصاد جوية .

أجاب "روبرت" وهو يصافح يد حفيدته في عرفان :

- أوه ، أنا لا أعرف أكثر مما يعرفه مزارع من "أيوا" .

قالت "چيسيكا" :

- على الرغم من ذلك ، فقد أعلن التليفزيون أن العاصفة ستتقدم نحو الشمال .

- لا . لقد قال جدي : إنها ستمطر خلال أقل من ساعة وبعدها ستبتعد العاصفة . غدا . سيكون الجو أفضل كثيرا .

www.liilas.com

قالت "راشيل" :

- حقا ؟

تمتم "روبرت" و هو يقبل حفيدته :

- إنهن لايصدقن ماأقول ! هل ترين؟ إنهن يجعلنني أتذكر مجلس إدارة الجامعة . رجل قد أصابه الكبر ولم يعد له نفع في اي شيء .

اعترضت "راشيل":

- أبي !

قالت "لورا" :

- ستظل دائما الأفضل بالنسبة لي . وسأبرهن لك على ذلك غدا عندما أجهز لك أفضل فطور . أعرف طريقة عمل البيض المخفوق .

قالت "چيسيكا" :

- جدك يتبع نظاما غذائيا ليخفض نسبة الكوليستيرول . هذا النظام الغذائي يفيد قلبه لكن لايفيد مزاجه . تعالي معي إذن إلى المطبخ ساريك .

- حسنا .(قبلت "لورا" والدتها)

- طابت ليلتك ياأمي .

- طابت ليلتك ياعزيزتي .

أرادت "راشيل" أن تبقيها بين ذراعيها مدة أطول . أرادت أن تسألها عن رأيها في "بن" . ولماذا بدت غاضبة جدا في نهاية العشاء ؟ لكن تبعت "لورا" جدتها إلى الداخل .

صاحت "راشيل" :

- طلب مني البروفيسور "هيلي" أن اتمنى لك ليلة سعيدة .

اكتفت المراهقة بأن رفعت كتفيها قبل أن تختفي .

ذهبت "راشيل" لتستند إلى الدرابزين بجوار والدها مدة طويلة ، ظلا يتأملان البرق الوامض في السماء .

بادرته "راشيل" :

- العاصفة لاتتقدم .

ردد والدها :

- نحو منتصف الليل . سيهطل المطر بغزارة لكن لن يستمر طويلا .

ساد الصمت بينهما . أزال ضوء سيارة عابرة ظلام الليل لحظة، ثم استعاد الظلام سيطرته على المكان من جديد .

سألها والدها فجاة :

- من هو يا "راشيل" ؟

مزقت هذه الكلمات ستار الصمت كما يمزق البرق صفحة السماء .

- من هو من ؟

- والد "لورا" .

بدا الجو أكثر ثقلا .

استطرد "روبرت":

- لم يعد هذا الأمر ذا أهمية . لقد غادر الجميع المدينة وسياتي دوري قريبا . انتهت "ديبيك" ، لكن قبل أن أرحل ، أود أن أعرف .

قالت السيدة الشابة :

- لقد كان "ديفيد" والد "لورا"

- هيا يا "راشيل" أنت تعرفين جيدا ماذا أقصد .

استدارت لتواجه والدها :

- أنت محق يا والدي ، لم يعد للأمر أي أهمية . لقد غادر المدينة منذ زمن بعيد .

- وبعد ؟

- والآن لا أرى جدوى في إثارة اسم قديم نسي . وإحياء غضب لانفع له . "لورا" ابنتي وماكان لها أن تجد أبا أفضل من "ديفيد" الماضي هو الماضي .

بعد هذه الأمسية ، لم تعد "راشيل" واثقة بأن الماضي قد انتهى. لكن يجب أن تصر على ذلك لمصلحة "لورا" ووالدها . لاجدوى من فتح جرح قديم . في غضون أسابيع سترحل أسرتها عن "ديبيك" وستبدأ حياتهم في مكان آخر .

www.liilas.com

تأخر الوقت . سادخل .

افصح صوته عن الغضب المحتدم داخله .

- طابت ليلتك يا أبي .

قال بصوت أقل حدة :

- طابت ليلتك يا "راشيل" إلى الغد .

ظلت السيدة الشابة في الشرفة بضع دقائق . استمر البرق يومض في السماء . يشيع في الجو إنذارا ، ثورة في سبيلها إلى السقوط فوق رؤوسهم .

دخلت "راشيل" بسرعة ، آملة أن تهدئ التوتر الذي شعرت به يتصاعد حولها .

الساعة الحادية عشرة وثمان واربعون دقيقة . المنبه الكريستالي يلمع على منضدة "راشيل" التي تجاور السرير . الحادية عشرة وتسع واربعون دقيقة .

نهضت وجلست في سريرها . كانت قد أزاحت عنها غطاءها بالفعل إلا أن الجو كان خانقا لدرجة أنها لم تستطع النوم . وعلى الرغم من أن درجة الحرارة في الخارج قد انخفضت إذ إن المكيف قد توقف آليا .

ذهبت إلى النافذة . كان الرعد أكثر قوة والبرق أكثر حدوثا .

جلست "راشيل" على مقعد قديم ونظرت إلى جرس الكنيسة الظاهر للعيان من فوق مبنى المكتبة .

من الغريب أن والدتها تخصص لها هذه الغرفة منذ فترة طويلة . في هذا المكان كانت تختبئ وهي طفلة لتحلم بالمستقبل . وفي هذا المكان أيضا - وهي في السادسة عشرة - اختبأت وهي حامل ومحطمة تحاول أن تجد الشجاعة لتعترف لوالديها . كان يوم الأحد . في الخارج يغطي الثلج زينة عيد الميلاد . باسفل والداها يتناولان الشاي مع بعض أساتذة الجامعة . وعندما رحل آخر زائر ، نزلت "راشيل" .

تغيرت حياتها . كان والدها حازما على الدوام ، لكن كان بينهما رابطة مودة . قطع الخبر هذه الرابطة . لم يغفر لها أبدا حجبها اسم والد جنينها .

لقد علمها "بن" أن تحب بصراحة ، أن تبتسم ، تضحك ، تعطي.تفتح قلبها . أن تمنحه نفسها . لقد تحابا ولم يجدا في ذلك عملا منافيا للأخلاق . لم يكن الأمر إلا تجربة طبيعية لشعور كليهما تجاه الآخر مهما كان الثمن .

والثمن ، لم يكن "لورا" . أوه ، لا، إن "لورا" هبة من السماء الثمن كان فقدها "بن" .

ابتعدت عن النافذة ومرت بيدها على جبينها . كانت الحرارة خانقة في هذه الغرفة . كما لو كانت الحوائط تنحسر حولها .

كيف يرى "بن" تلاقيهما؟ على أية حال ، هذا الصيف البعيد لم يكن بالنسبة له سوى مغامرة عاطفية عابرة . إنه يجهل وجود ابنته.

نهضت ، وبرداء النوم ، غادرت غرفتها كمالو كانت الذكريات تطردها منها. نزلت السلالم في هدوء وخرجت إلى الشرفة . كان الجو أكثر انتعاشا .

حرك الهواء خصلات شعرها الأشقر تنفست بعمق متحررة من أي توتر . هادئة ومسترخية ، ذهبت لتستند بظهرها إلى عمود خشبي . كانت الرطوبة واضحة عليه . لقد أصاب والدها ، ستمطر قريبا .

فجأة ، أضاء البرق مصحوبا بالرعد . لم ترجع "راشيل" إلى الخلف على العكس ، بدا أن جسدها يريد أن يتحد مع عناصر الطبيعة الثائرة، كما لو أن المشاعر التي تجيش بها نفسها منذ لقائها بـ"بن" تريد أن تتحرر .

أخذت حبات مطر كبيرة تنهمر على وجهها . لم تتحرك .

بلل المطر شعرها ورداءها ، لكنها شعرت بالراحة والهدوء .

www.liilas.com

"بن" ينتمي للماضي وستبذل مافي وسعها ليظل كذلك .

وفجاة ، في ضوء البرق ، اعتقدت "راشيل" انها قد رات شبحا يرتدي قميصا أبيض يجري في المدخل . عاد الظلام من جديد ، لكنها سمعت خطوات أقدام تصعد درجات السلم القليلة في الطرف الآخر من الشرفة .كتمت انفاسها .

ومض البرق من جديد فاضاء واجهة البيت . إنه "بن" يحتمي من العاصفة .

الفصل الثالث

اقترب "بن" من السيدة الشابة . إن وجوده يصيبها بالاضطراب لدرجة انها فضلت الالتفات إلى الحديقة . بعيدا عن أن تطفئ النار التي اضطرمت في نفسها ، لم تفعل العاصفة إلا أن اذكت نار الشوق في قلبها واختلط الماضي بالحاضر والحلم بالحقيقة .

قال "بن" :

- العاصفة المعهودة ! تنبات الأرصاد انها ستتقدم نحو الشمال.

- قال أبي : إن العاصفة ستهب قرب منتصف الليل .

أزاح "بن" عن وجهه خصلات الشعر المبللة بفعل المطر .

قفز قلب "راشيل" .

قال :

- حسنا ، من الأفضل أن أسرع إلى شقتي .

- وفقا لما قال والدي لن تستمر العاصفة مدة طويلة .

لماذا تفوهت بهذا القول ؟ إنها تلعب بالنار أن تبقى هكذا في الظلام بالقرب من "بن" وحيدة ، في قلب الليل .. هل تامل في إحياء الماضي ؟

www.liilas.com

١٥٠ ١٥ سنة ٢٠٠٠

قال :

- أوه . حينئذ يمكنني أن انتظر بعض الوقت . إذا لم تضايقك رفقتي .

- كلا على الإطلاق .

دهشت بثقة صوتها . على أية حال ، لم تعد فتاة صغيرة ، لن تدع شوقها يتغلب عليها . ابتعدت الفترات بين البرق مثلما تباعدت الفترات بين خفقات قلبها . أخذت تبحث عن الكلمات لتكسر بها سحر هذه الليلة الصيفية البديعة .

- اختنقت بالداخل . بحثت عن نسمة هواء هنا . لم أكن أتوقع زائرا .

وبخاصة زيارة "بن" .

- كنت في اجتماع مع بعض أعضاء مجلس الجامعة ، وامتد بنا الاجتماع إلى أكثر مما خصص له من وقت . هبت العاصفة وقتما عدت .

هدأت الأمطار . لم تكن تريد أن يذهب "بن" . ليس بعد ... سألها :

- هل تزورين والديك كثيرا ؟

- ليس بالقدر الذي أوده . لدينا دائما الكثير الذي نفعله .

- نعم ، أتخيل أن تربية طفلة عمل كبير .

كان يبدو على راحته كمالو أن وجود السيدة الشابة ليس له أي تأثير .

أجابت "راشيل" وهي تحاول أن تحافظ على نبرتها غير المبالية .

- أوه ، "لورا" لاتسبب لي أي مشكلات . لكني كنت أساعد "ديفيد" في المكتبة . كان يهتم بالحسابات وانا كنت أهتم بالكتب والتسويق، كذلك الدعاية .

- هل مازلت تديرين هذه المكتبة ؟

- كلا . قررت بيعها بعد موت "ديفيد" لكني نادمة الآن على ذلك. لقد

افتقدت المكتبة .

- نعم ، هناك قرارات على هذه الحال : بشكل أو باخر يجب أن يفقد المرء شيئا .

قالت "راشيل" في نفسها وهي تفكر في قرارها بشأن الاحتفاظ بـ"لورا" : كم يسهل عليه قول ذلك .

كان والداها مقتنعين بأن تسلم الطفلة لملجأ . لقد حذراها من الصعوبات التي ستقابلها لأن لها ابنة غير شرعية لكنها لم تقتنع أبدا بأن تترك ثمرة حبها لـ"بن" . لم تكن لتعيش بدون "لورا" ، حديث "بن" الذي تدفق على لسانه بدون عناء أيقظ في نفسها غضبا ساكنا في أعماقها .

ماذا يعرف عن الألم الذي يشعر به المرء عندما يهجر شخصا عزيزا ؟ هل يعرف كم هو صعب أن تربي طفلة وأن تحرمها من فرص السعادة التي قد تصادفها إذا تبناها أحد ؟ أو كم من الليالي سهرت تهدهد طفلتها ودموعها تنساب فوق خديها ؟

قال :

- "لورا" تشبهك تماما . كما لو أني رأيتك وانت مراهقة من جديد. في نبرته شيء ما - حزن؟- شيء يثير اضطرابها .

اختفى حزنها . تذكرت أمسياتهما في الحديقة ويقينها من أن حبهما أبدي. تذكرت مدى فرحتها وهي تهرب من بيتها لتجري وتلاقي "بن" لكنها تذكرت أيضا عراكهما ، وتلك الكلمات اللاذعة التي تبادلاها ورفضه أن تصل العلاقة بينهما إلى ماوصلت إليه . إذا كانت تشعر اليوم بالذنب فهذا خطؤها وليس خطأ "بن" .

بينما كانت تفكر في مصيرها إذا أطاعته في تلك الليلة وتركته يقودها إلى منزلها ، توقفت ببصرها على الرجل الذي يشاركها مخباها في الشرفة . كان قميصه ملتصقا بصدره فبرزت عضلاته المفتولة . أمامها اليوم شخص مختلف عن ذلك الشخص الذي قابلته في الصيف .

www.liilas.com

تجاوب مع نظرتها دون دهشة . كان يراها قبل ذلك جميلة لكن بعد إنجابها لطفلة وبمرور السنين ، كانت قلقة بشان ان تعرف كيف تبدو له ، هل مازالت جذابة في عينيه ؟ .

في الظلام ، تخيلته يبتسم ويرفع يده ليلمسها .

لم يفتر انجذاب كليهما للآخر بفعل السنين . على العكس ، يبدو أن هذا الانجذاب ازداد قوة . كانت تتحرق شوقا أن ترتمي بين ذراعيه . لكن لم ترق العاطفة بعد لتتخطى العقل . لقد حدث الكثير خلال الخمس والعشرين سنة ، وظل العديد من الأسئلة دون إجابات .

رجعت خطوة إلى الخلف متبينة ان رداء نومها المبلول قد التصق بجسدها النحيل . وبكل تلقائية عقدت ذراعيها فوق صدرها . ومضت عينا "بن"

قالت لتصرف انتباهه :

- "لورا" عينا ابيها .

لكنها لم تنته من هذه الكلمات حتى عضت شفتيها ندما . ماذا تفعل ؟ هل هذه هي اللحظة المناسبة لتكشف فيها لـ"بن" عن حقيقة "لورا" ؟ لقد كتبت له بالفعل منذ سنين ولم يجب ابدا على خطابها . هل قرأه ؟ هل وصل له ؟

قال :

- لقد كان "ديفيد" رجلا سعيدا .

الآن تيقنت "راشيل" انه لايعرف . مهما كان ماحدث لهذا الخطاب فهو لم يقرأه .

استطرد "بن":

- إن "لورا" كانها جزء منه مازال يحيا .

وعلى المدى الطويل . يبقى ذلك اهم شيء .

كانت "راشيل" فريسة لصراع داخلي . هل يجب عليها ان تفصح له عن أن "لورا" ابنته ؟ لن يكون لذلك اثر جيد إذا اكتشف فجاة أن رئيس الجامعة الجديد اب مجهول .

اختارت "راشيل" أن تغير مجرى الحديث .

- هل هذا هو هدفك من عملك في الجامعة ؟ أن تترك بصمتك؟

- أتمنى ذلك . لقد نجح والدك في الحفاظ على معهد تعليمي متميز ، لكن تحتاج الجامعة لخطة تسويق طموح . وسيكون ذلك عملي . لكن ، دون جهود والدك ، لم اكن لأجد شيئا اسوقه .

قالت "راشيل" ضاحكة:

- وكانك تتحدث عن نوع صابون .

اكتفى بان دفع كتفيه .

- نعم ، البعض ينظرون إلى التسويق بازد راء . لكن العديد من الجامعات الصغيرة في طريقها للانهيار وهذه كارثة حقيقية .

نسبة إقبال الطلبة في انخفاض : لايمكننا أن نبقى مكتوفي الايدي في انتظار أن ياتوا إلينا .

- لم أرد أن ...

- لقد لعبت الجامعات الصغيرة دورا مهما في تاريخ بلادنا لايمكن أن نتركها تختفي بهذه الطريقة . يجب أن نكافح وإلا فسيضيع جهد اناس أمثال أبيك هباء وسيعاني ذلك الأجيال القادمة .

حينئذ رأت "راشيل" الشاب الطموح الذي عرفته منذ خمس عشرة سنة . كانت عيناه تلمعان بالحماس . خصلة شعر متمردة تتراقص على جبينه كما كان في الثامنة عشرة .

كانت تود أن تاخذه بين ذراعيها ، تهبه كل حبها ، كانت تود أن تسانده وتشجعه . إن العالم يحتاج لفرد مثل "بن هيلي"، مستعد للمكافحة حتى يقضي على ظلام الجهل كانت تستطيع أن تساعده ، أن تشحنه بالثقة والشجاعة حتى يستطيع بقوته وثقته مواجهة شبح اللامبالاة .

ومع ذلك ، عندما اقترب منها مدفوعا بحماسه ، ابتعدت "راشيل" تلقائيا . إن الأمور تتطور بسرعة . لقد علمها الماضي الحرص .

قالت :

www.liilas.com

- سكت المطر .

قال :

- ماذا ؟

- المطر توقف .

التفت نحو الحديقة .

- نعم .

كانت تريده أن يذهب . وكانت تريده ان يبقى .

ممزقة بين هذين الشعورين . حملقت إلى قطرات المطر المنسابة فوق شجرة العنب .

قالت :

- على الرغم من غزارة الأمطار لم تلطف الجو .

- نعم ، لكن سيتحسن الجو . من الأفضل أن تدخلي قبل أن تصابي بالبرد .

كيف لها أن تصاب بالبرد ونار الشوق ترعى في أعماقها ؟!

لكن مواصلة هذا الحديث ضرب من مغازلة الخطر . في الماضي كانت كثيرا ماتنقاد عن طريق رغبتها . لكنها نضجت الآن.

قالت :

- نعم ، سأدخل .

هل هو العقل أم الخوف الذي دفعها لتقول هذا القول ؟

ظهر القمر على ا ستحياء بين سحابتين . اقترب "بن" من السيدة الشابة . لم يعد يفصل بينهما سوى بضعة سنتيمترات وخمس عشرة سنة طويلة . كانت "راشيل" تعرف أن عليها إثبات إرادتها اليوم .

- طابت ليلتك يا"بن" .

تردد :

- طابت ليلتك يا"راشيل" .

لم تكن هذه الكلمات سوى همسات . كان يكفي "راشيل" ان تميل إلى الأمام لتجد نفسها بين ذراعيه .

قال :

- ادخلي الآن .

ربت كتفها ثم نزل درجات الشرفة على مضض .

بقيت "راشيل" ساكنة لحظة . لم تكن تتصور ماحدث .

- لست على مايرام هذا الصباح ياعزيزتي ؟ انت صامتة هل الجو حار جدا بالنسبة لك هنا ؟

كانت "راشيل" وأمها يعملان في مخزن البيت .

- انا بخير. بخير .

المروحة التي أخرجاها تجلب هواء أكثر إنعاشا من مروحة الأمس .

كان يوما مناسبا للبحث في هذه الحجرة المليئة بالتراب لاختيار الأشياء التي يجب الاحتفاظ بها أو التخلص منها .

قالت السيدة الشابة :

- لم أنم جيدا هذه الليلة .

فتحت حقيبة بها ملابس قديمة . كان بها مجموعة جيبات وقمصان كانت ترتديها عندما كانت في السادسة عشرة .

- هل أضعها مع الأشياء التي سنتخلص منها ؟

ألقت والدتها نظرة على الحقيبة .

سألتها وهي تتفحص قميصا مزينا بالدانتيل .

- هل تعتقدين انها تناسب "لورا" ؟ أوه ، هناك بقعة ما. إني أتساءل. ماهذا ؟

- أيس كريم بالشوكولاتة .

جحظت عينا "چيسيكا":

- شيء عجيب أن تتذكري بعد كل هذه السنين .

فكرت "راشيل" ، ليس شيئا غريبا إلى هذا الحد . كانت ترتدي هذا القميص في رحلة نظمها أساتذة الجامعة وفيها أوقعها شاب غريب اللبس ولكن له أجمل عينين في العالم ، أوقعها فسقط "الأيس كريم" على قميصها .

www.liilas.com

قالت "چيسيكا":

- لست أدري إذا كانت ستزول هذه البقعة بعد كل هذا الوقت .

- أشك في ذلك ، كما أني لست واثقة برغبة "لورا" في ارتداء هذه الملابس القديمة .

قالت والدتها ضاحكة :

- أنت محقة ! انسي دائما كم تغيرت الأشياء عما كنت في عمر "لورا" .

مازالت مقابلة الأمس تؤرقها . حاولت أن تصرف تفكيرها بأعمال ترتيب الأشياء . انتهت والدتها من حزم لفافة من الملابس القديمة . سألتها "راشيل" :

- ماذا سنصنع بهذه الصناديق هناك ؟

- إنها أوراق تخص الجامعة . سيتركها والدك لقسم التاريخ في الأرشيف .

- حسنا ، وماذا غير ذلك ؟

- سننزل ونتناول عصير الليمون المثلج .

- إذا كنا سننزل بسببي ، اطمئنك يا أمي أنني بخير .

لكن ، أصرت "چيسيكا" ، أوقفت المروحة ونزلت درجات السلم حتى المطبخ . بينما كانت تعد عصير الليمون ، نظرت "راشيل" عبر النافذة . كان أرنبان يقضمان نبات الخس .

سألتها "چيسيكا" وهي تقدم إليها كوب عصير الليمون .

- هل تذكرين البروفيسور "هيلي" عندما جاء ليقضي الصيف هنا عند عمه ؟

التفتت "راشيل" .

أجابت :

- ليس تماما .

- بالتأكيد .. لم يكن إلا مراهقا في ذلك الوقت . واليوم هو رجل وسيم .

قالت "راشيل" في خاطرها: كم هو وسيم . لايسع أي امرأة إلا أن تنجذب إليه . تدفقت الذكريات في ذهن "راشيل" .. فسبحت في ماض من الذكريات العذبة . لاحظت أن أمها تحملق إليها في دهشة .

أجابت :

- نعم ، لقد تغير .

التفتت من جديد نحو النافذة لتنظر إلى الحديقة . كان الأرنبان مازالا هناك. كانت تعرف أن من الواجب الاعتراف إلى أمها ، لكن لم يكن لديها الشجاعة .

- يجب أن يتزوج .

- من هذا ؟

قالت "چيسيكا" ضاحكة :

- البروفيسور "هيلي" بالتأكيد ، عمن نتحدث الآن ؟

- نعم .

- هل أنت متأكدة من أنك بخير ؟ إنك هنا لكن عقلك في مكان آخر.

بدلا من أن تجيب ، ارتشفت "راشيل" جرعة كبيرة من العصير قبل أن تضع الكوب فوق المنضدة .

- لماذا تقولين : إنه يجب أن يتزوج ؟

- لأن وظيفة الرئيس تتطلب شخصين . هناك الكثير من حفلات الاستقبال ، والاجتماعات مع مجموعات مختلفة ، وبما أنه أعزب فلن يفلح في القيام بكل ذلك .

أجابت "راشيل":

- على الجامعة إذن أن تعين شخصين .

وخزها سؤال مفاجئ :

- هل كان "بن" خاطبا ؟ هل كانت له صديقة أو عشيقة ؟

حاولت راشيل أن تبعد عن نفسها هذا الشعور السخيف بالخوف .

على أية حال ، ما الذي يهمها بشأن "بن" إذا كان خاطبا أم لا ؟

- مازلت أعتقد أنه يجب على البروفيسور "هيلي" أن يتزوج .

www.liilas.com

جاءت كلمات أمها كالحجارة التي حطمت حائط اللامبالاة الضعيف الذي حاولت "راشيل" أن تقيمه حول قلبها .

فكرة أن يحب "بن" امراة أخرى ، يضحك معها ، يكون بالقرب منها ، كانت تصيبها بالم غير محتمل . جاهدت نفسها حتى تطرد عن ذهنها هذه الفكرة .

- اسمعي يا أمي ، انا مدركة تماما لمسؤوليات رئيس الجامعة لكن ليست لدي أي سلطة على حالة البروفيسور "هيلي" العائلية . لست انا، يجب عليك إقناعه .

- لا أتحدث فقط عن مسؤولياته . بكل بساطة ، أرى أنه سيكون رب عائلة جيدا .

- رب عائلة ؟

- نعم ، يلزمه أطفال ليدللهم .

كادت "راشيل" أن تتوسل إليها لتصمت . إن لـ"بن" طفلة . فتاة رائعة. ابتلعت "راشيل" دموعها التي أوشكت على السقوط.

قالت وهي تتظاهر بالمرح :

- معك حق : لست على مايرام اليوم . إذا لم تعودي في حاجة إلي ، أرى أن أذهب لأستنشق الهواء : ربما ينعشني ذلك .

- اذهبي - اذهبي ياعزيزتي .

ظلت "راشيل" تتريض مدة ساعة تقريبا ، في جنبات الحرم الجامعي الخالي تقريبا . وأخيرا جلست على حافة النافورة ، وخلعت حذاءها ورجرجت قدميها في الماء . تاملت الموجات الصغيرة التي تلامس حافة الحوض ثم تنهدت بعمق .

هل لـ"بن" الحق في أن يعرف أن "لورا" ابنته ؟ لكن كيف ومتى تقول له ذلك ؟ وكيف تعلن لـ"لورا" عن ذلك ؟

قالت بصوت مرتفع :

- لا يجب أن أعود إلى هنا . لقد كانت الحياة أكثر سهولة من ذلك .

أخرجت قدميها من الماء ثم وضعتهما فوق حافة النافورة لتجففهما.

فجاة ، ظهر ظلام ليحجب عنها الشمس .

سمعت صوت رجل يقول :

- صباح الخير .

www.liilas.com

الفصل الرابع

كانت "راشيل" تعرف انه "بن". ببطء رفعت رأسها إلى الخلف نحوه.

قال :

- أنت تتريضين إذن ؟

قالت وهي تشير بذقنها إلى الحوض :

- كنت على الأحرى أرغب في قطف رأس .

ضحك وذهب ليجلس إلى جوارها - قريبا جدا منها .

- إن ذلك يبدو تجاسرا من قبل شخص يعرف جيدا القوانين الداخلية للجامعة .

- أنا لست طالبة ، على حد علمي . لن يستطيعوا التسبب في رسوبي أو فصلي (انتقلت "راشيل" بعينيها نحو التماثيل الثلاثة الرخامية التي شغلت منتصف النافورة).

وإذا كانت هؤلاء الآنسات يصبين حقا : الحقيقة ، الشرف ، والعلم.. في الحوض ، فالغوص في مائه يعتبر طريقة لاكتساب هذه الفضائل .

قال "بن" وهو يهز رأسه في حزن :

- هذا إذن ماتعلمناه في المدرسة ؟ لابد أن أعرف انك تواقة لمعرفة الحقيقة .

- وماهي ؟

- هذه التماثيل لاترمز إلى الحقيقة والشرف والعلم ولكن إلى الجمال ، والحب والرغبة . والشخص الذي يغوص في مائها رجلا كان أم امرأة يقع في حب من كان بجانبه في الحوض في الحال.

سالت ضاحكة :

- حتى لو كانت سمكة ؟ ذلك لأن في بعض الأوقات توجد أسماك حمراء في الحوض . أنت تتخيل الدوافع التي تنشأ عنها قصص الحب؟

قال مازحا :

- ألا تريدين السباحة في هذا الحوض معي ؟

أيقظ التحدي الذي قرأته في عينيه الألم الذي شعرت به عندما قابلها ليلة أمس بعد انتهاء العاصفة.

تذكرت الفزع الذي هز قلبها عندما اقترحت أمها أن يتزوج "بن" لماذا قابلته اليوم ؟ لماذا أيضا اختارت أن تتريض في جنبات الحرم الجامعي بدلا من أن تختار نزهة على شاطئ النهر ؟ كان "بن" آخر شخص تريد رؤيته .

قال كما لو كان قد قرأ أفكارها :

- في الحقيقة ، أنا محظوظ اليوم . أنت الشخص الذي يلزمني.

قالت وهي تشعر بالقلق من غموض تصريح كهذا :

- آه ، نعم .

- لدي مشكلة في تنظيم مكتبي وأراني بحاجة لبعض النصائح.

- لست واثقة بأني مؤهلة لذلك .

حركت قدمها من مكانها ونظرت إلى أثرها الذي يختفي ببطء .

- أنا واثق بالعكس . أريد أن أجعل من هذا المكتب مكانا دافئا ومضيافا ، وذلك كان دائما من اختصاصاتك .

www.liilas.com

ماذا يقصد بذلك ؟ لكنها خشيت من طرح السؤال وبقيت صامتة.

استطرد :

- كانت في المكتب الآن . يمكننا أن نعود إليه بعد قليل .

- لماذا ليس على الفور ؟

يجب أن تتعود على وجود "بن" . إنها لن تشعر بالدوار في كل مرة يظهر أمامها ! هبت واقفة والتقطت حذاءها .

سألها :

- هل أنت متأكدة أن لديك الوقت ؟

- بالتأكيد .

تقدمته وحذاؤها في يدها تبعها "بن" سائرا في ظل أشجار البلوط الضخمة التي تتخللها من آن لآخر أشعة الشمس ، كان الحرم الجامعي خاليا تماما . خيم الصمت حتى صار ثقيلا ، نقبت "راشيل" في رأسها عن شيء لتقوله .

- كيف نصبت رئيسا لهذه الجامعة ؟

قال مازحا :

- هل تشكين في مؤهلاتي ؟

لم تلاحظ في صوته تلك الرغبة التي استشفتها مساء أمس في الشرفة . هل يمكن أن يكون ضعفا عابرا من قلبه ؟

- إني فضولية فقط . يجب أن توافقني في أن الأمر ليس إلا مصادفة غريبة .

- ربما لا .

سارا بطول ملعب التنس حيث كان يلعب صبيان يخفقان كثيرا في ضرب الكرة.

استطرد "بن":

- كنت أحب دائما هذا المكان . عندما علمت أنهم يحتاجون شخصا ما ليخلف والدك . أجريت بعض الاتصالات .

- هل كان ذلك كافيا ؟

ابتسم :

- على الأقل لأحصل على ميعاد . وأعملت سحري فيما تبقى !

- فهمت .

حاولت أن تبتسم بنفس الطريقة لكنها فشلت في ذلك . شعرت بالراحة عندما وصلا إلى البيت . فتح باب مكتبه ثم وقف جانبا ليسمح لها بالمرور أولا . لم يطرأ على الحجرة أي تغير منذ الأمس ومع ذلك شعرت "راشيل" بشيء مامختلف ، كما لو أن "بن" مثل بطل أسطوري يتحول كل مايلمسه إلى ذهب .

كان له القدرة على فرض شخصيته الخاصة على كل مايحيط به.

قال "بن" :

- الحجرة فسيحة ومابها من أثاث يروق لي . لكن لاتتفق معي.

- هذه الحجرة انعكاس لصورة أبي ، مازلت أراه جالسا هنا بنظارته ذات الإطار الذهبي ، حلته الداكنة . السلطة مجسدة في صورة رجل . الجميع - الأستاذ مثل الطالب مثل أي عضو من أعضاء الأسرة - يتقدم في تردد من هذا المكتب وقبعته في يده .

- أشعر وكأني أستمع إليك وأنت في السادسة عشرة .ومع ذلك، لابد أن يكون والدك قد تخلى عن تعسفه كلما كبرت .

رفعت بصرها : لم يكن على بعد أكثر من بضع خطوات . نظرته الحانية ، صوته العذب . كانت تود لو أن تسقط بين ذراعيه، لكن كان هناك ماهو أكثر من بضعة السنتيمترات التي تفصلهما هل كان هذا هو الوقت الملائم لتكشف له عن الحقيقة؟

لم يكن مكتب والدها بالتأكيد هو المكان المثالي لاعتراف مؤلم كهذا .

قالت وهي تبتعد عنه :

- لو كنت مكانك لفصلت هذه الحجرة إلى جزءين : أحدهما تضع فيه مكتبك ، والآخر تجعله صالونا يمكنك أن تستقبل فيه الطلاب والمدرسين أو أعضاء مجلس الإدارة .

أوما "بن" برأسه : إنه الآن رئيس الجامعة ،رجل يقع على عاتقه

www.liilas.com

مسؤولية مؤسسة كبيرة . جال ببصره في أنحاء الحجرة .

قال :

- تبدو فكرة رائعة .

شعرت "راشيل" فجأة بحرية أكبر في حركتها ، فدارت حول المكتب . وضعت حذاءها فوق رزمة مجلات ثم تاملت الحجرة مفكرة .

قالت وهي تشير إلى ركن على يسار الباب :

- لماذا لاتضع مكتبك هنا ؟

نظر "بن" إلى المكان الذي اشارت إليه مفكرا في اقتراحها .

- ثم إنك ستستطيع أن تضع الأريكتين هنا بجانب النافذة .

وافق على اقتراحها .

- وفي المكان الخالي للأريكتين يمكنك أن تضع مائدة مستديرة للاجتماعات أو المؤتمرات .

قال :

- نعم ، هذا لايبدو ضربا من الحماقة لكن هل : أنت متاكدة من أن المكتب سيجد مكانا هناك ؟

قالت وهي تمثل دور المهانة :

- لايبدو ضربا من الحماقة ؟

أزالت نبرة "بن" الضاحكة مانبقى من توتر أو عدم ارتياح بينهما . لقد كانا صديقين قبل أن يكونا عاشقين . لماذا لايعودان كذلك من جديد؟

- هل تعتقدين أنه يمكننا نقل المكتب إلى هناك .

- إذا كان ماتحت قميصك عضلات حقيقية كما أعتقد ، فسيمكننا نقله ، دعنا نتحقق من ذلك على الفور .

قال :

- هذا المكتب القديم يزن طنا .

- يمكننا نزع الأدراج .

بدأ العمل كل من ناحيته . ثم سحباه أكثر مما حملاه . كادت "راشيل" أن تفقد أنفاسها إلا أنها ما إن شعرت بعيني "بن" مثبتة عليها حتى

تراجعت عن الشكوى .

ما إن وضعا المكتب في مكانه الجديد حتى ابتعد "بن" ليتامل النتيجة .

قال (وهو يشير بإصبعه إلى منضدة صغيرة خلف المكتب):

- يبدو جميلا . يمكنني أن أضع الحاسب الآلي هنا .

لاحظت وجود جامع كهربائي للمستندات .

- أعرف ذلك . هيا ، تعال لتساعدني في حمل الأريكيتين .

مضى الوقت بسرعة وهما يرتبان أثاث الحجرة . قاما بمحاولات فاشلة مع الأريكيتين قبل أن يضعاهما أخيرا في المكان المناسب الذي اختارته "راشيل" منذ البداية . وأخيرا سقطا على الأريكة متعبين .

قال "بن" وهو يمدد ذراعيه فوق رأسه :

- وأنا الذي اعتقدت أن مهام رئيس الجامعة ليست إلا مهام عقلية ! لقد قمت بكل هذه الأعوام من الدراسة لأعمل في النهاية ناقل أثاث .

- انتظر ، لم تنته بعد . يبقى أن نضع منضدة في ركن الاجتماعات وأخرى منخفضة بين الأريكتين

قال وهو يغلق عينيه:

- فكرة رائعة . أخبريني عندما تنتهين !

- لا ، بدون مزاح ! أنت الذي تنقل الأثاث وليس أنا . . . لماذا تعتقد أنهم عينوا شابا في وظيفة الرئيس ؟

فتح عينيه وأومأ برأسه .

- أليس بسبب فتنتي ؟

ياله من شيء جميل أن يتمازحا من جديد !

- فتنتك ؟

- نعم هذا صحيح .

تقابلت نظراتهما ولم تفترق . تذكرت "راشيل" الوقت الذي كانت فتنة "بن" فيه قوية لدرجة أن كلمات قليلة من فمه كانت تلهب عاطفتها كما تلهب لمساته الحانية كل حواسها . وبالأمس ، تأكدت من جاذبية هذا

www.liilas.com

الرجل التي ازدادت قوة مع الزمن .

همست في ضيق :

- "بن".

وفجاة تعانقا كما لم يفعلا من قبل . والآن تيقظت حواس "راشيل" واختفى صوت العقل . إنها الآن في السادسة عشرة من جديد ، تتحرق بلهيب الحب . شدد "بن" عناقه . إنه لم يعد المراهق ذا الثمانية عشر ربيعا . إنها تشعر بقبضة رجل كامل البنيان . استندت برأسها فوق صدره ، مغلقة العينين ،وهو مازال يحيطها بذراعيه ، يعزلها عن العالم الخارجي وعن همومها . كانت في مامن بين هاتين الذراعين ، تشعر وكانها في بيتها .

ولكن بنفس السرعة التي استسلمت بها لرغبتها العارمة ، عادت "راشيل" إلى صوابها . ابتعدت عنه ببطء. توقفت ببصرها لحظة على عيني "بن" لكنها التفتت فجاة .

بقيا صامتين ، عيناهما مثبتتان على المكتبة التي يشاهدانها عبر النافذة . لم يسمع إلا صوت ساعة حائط جدها في الصالة ، صوت يتزايد حتى أصبح غير محتمل .

همس "بن":

- من يقول : إننا كنا سنتقابل في مثل هذه الظروف ؟

كان حلقاهما جافين . أخذت تبحث عن إجابة لكنها لم تنجح في ذلك.

استطرد :

- عندما قبلت هذه الوظيفة كنت أعرف أن الفرصة كبيرة في أن أراك ولم أكن متاكدا من رغبتي في ذلك .

سقط قلب "راشيل" بين قدميها .

- شكرا على المجاملة .

قال موضحا :

- أحيانا تسبق الأحلام الحقيقة . كنت أخشى أن أكتشف أن هذا

الصيف ليس رائعا كما هو في عقلي .

رجع قلب "راشيل" مكانه ، استطاعت حتى أن ترسم ابتسامة فاترة .

- هل تقصد : إذا كنت قد أصبحت بدينة وبشعر أشيب .. أوما: "لا" برأسه .

- سيحدث لنا جميعا ذلك يوما ما . لا ، ماكنت أخشاه ، هو أن أرى الفتاة التي أحببتها قد أصبحت امرأة متصنعة وانانية .

فزعت "راشيل" من لهجته الجادة . شعرت أنها أمام منحدر وعلى الناحية الأخرى "بن" يحثها على أن تنضم إليه .

سالته :

- وكيف لك أن تتاكد اليوم مما آلت إليه ؟ الناس يتغيرون مع الزمن.

- ليس كثيرا .

نهضت متوجهة نحو النافذة . من بعيد ، من السهل محاربة العواطف الجامحة .

- على أية حال ، لقد تغيرنا نحن الاثنان . لقد أصبحنا ناضجين .

قال :

- أن نكون ناضجين ليس بالضرورة أن نكون قد تغيرنا .

كان ذلك هو الحال مع "راشيل" . لقد عبرت دون أي مرحلة انتقالية من شرنقة العائلة إلى حقيقة الحياة القاسية. تاملت عبر النافذة هذا العالم الذي عرفته منذ زمن بعيد .

ماذا كان سيحدث إذا كانت استطاعت أن تخبر "بن" بحملها ؟ أو لو كتب لها ؟

سالته فجاة :

- ألا يحدث لك أحيانا أن تتمنى أن تاخذ الحياة ماخذا آخر ؟

- باستمرار .

دهشت لصراحة إجابته وسرعتها .

قال موضحا:

- كثيرا ما أسف أن الأمور لا تحدث بشكل مختلف . وخاصة عندما

www.liilas.com

تواجهني مشكلة غير متوقعة .

هل سيعتبر مولد "لورا" نوعا من هذه المشكلات ؟

قال "بن" :

- لكن ألا نتمنى جميعا أن نتحكم ولو بقدر بسيط في الأحداث التي تحيط بنا ؟

- أنا لا أتحدث بوجه عام . أنا أتحدث عن الطريقة التي افترقنا بها. ألم تندم أبدا على أننا تشاجرنا ؟

سألت نفسها : لماذا ؟ هل الإصرار ؟ هل تبحث عما يعذبها ؟

نظر "بن" إلى راحتي يديه كما لو كان سيجد بهما الإجابة على سؤالها .

قال بصوت هادئ :

- لاتحدث الأشياء أبدا بدون سبب ، كانت علاقتنا جادة جدا بالنسبة لطفلين في مثل عمرنا . أعتقد أنه كان ينقصنا كثير من النضج ، نضج كان لابد أن نكتسبه بمفردنا .

لم تبق "راشيل" بمفردها . كانت مع "لورا" .

استضافتهما إحدى قريبات أمها فترة من الزمن . وبشكل غير مباشر ، حققت لها الخالة "ماري" فرصة الزواج : لقد قدمت لها جارها "ديفيد اندرس" ، رجل هادئ يكبر "راشيل" بعشرين عاما تقريبا ، ماتت زوجته قبل مولد "لورا" بقليل. ودّ "ديفيد" أن يساعد "راشيل" ويكون بمثابة عزاء لها .

لكن ، أثناء هذه السنوات الأولى من الألم ، والشك ، والندم دخلت "راشيل" عالم النضج .

بدا لها الماضي فجاة ، هاوية لاقرار لها ، لايمكن عبورها . اقتربت مرة أخرى من الأريكة .

قالت بصوت هادئ:

- تمنيت أن تكتب لي ولم تفعل ذلك .

رفع عينيه نحوها ، وابتسامة حزينة تعلو وجهه .

قال :

- لم يكن ذلك لأني افتقدت الرغبة في الكتابة إليك لكني اعتقدت أن ذلك من الأفضل .

من الأفضل ! ماذا يقصد؟ لم يبرح السؤال فمها . أرادت أن تسأله : إذا كان استلم خطابها وأنكره لكنها خشيت أن تزيد بذلك الفجوة التي تفصلهما .

سمعت طرقات رقيقة على الباب أخرجتها من فكرها .

ظهرت "لورا" . نظرت إلى "بن" ثم إلى والدتها نظرة فاترة .

قالت الفتاة المراهقة :

- طلبت مني جدتي أن أخبرك بأن الفطور جاهز .

كان صوتها يرتعش غضبا . هل تاثرت الفتاة بالكراهية التي يحملها جدها نحو الرئيس الجديد ؟

أجابت "راشيل" :

- شكرا ياعزيزتي .

اختفت "لورا" ، وكذلك جو الألفة الذي ساد من قليل بين "بن" و"راشيل" . تلا ذلك صمت ثقيل .

تنحنح "بن":

- حسنا ، يجب أن أذهب . لقد وعدت بالإفطار مع رئيس قسم اللغة الإنجليزية . شكرا جزيلا على مساعدتك .

- عفوا . نادني إذا احتجت إلى من يصمم لك الديكور أو ينقل الأثاث.

اعتلت شفتيه ابتسامة خاطفة قبل أن يختفي . راته "راشيل" عبر النافذة بعينين دامعتين ، وهو يبتعد .

www.liilas.com

الفصل الخامس

إن عشرة آلاف جندي متجمعون أمام أبواب قصر الأميرة مستعدون للهجوم الأخير . أكثر من ثلاثمائة جندي ممددين على الأرض . رئيس الحرس يحتضر ، قد اخترق رقبته سهم وسيف قد أغمد في بطنه . البطل ، شاعر وسيم الذي كان في الحقيقة أمير مملكة بعيدة ، مسجى في الغابة ، ساقه تحت دابته الصريعة.

تثاءبت "راشيل" وهي تضع الكتاب السميك ، لقد كان العريش الذي تجلس فيه هادئا لدرجة أنها لم تستطع الانجذاب إلى مشكلة تلك الأميرة البائسة . تمددت قبل أن تجلس على مقعد طويل . كانت قد نسيت جمال هذا المكان . لايوجد ماهو أجمل من الجلوس في كسل تحت هذا العريش في نهار دافئ من شهر أغسطس .

إنه اليوم الخامس لمجيئها هي و"لورا" إلى ديبيك ". خمسة أيام قضتها في ترتيب المخزن والدواليب . خمسة أيام قضتها وهي تتجنب "بن" وتأمل ملاقاته وهي تستمتع الآن بيوم من الراحة أثناء زيارة أمها الأخيرة لنادي البستنة .

أغلقت "راشيل" عينيها ، مفتونة بالضباب المتصاعد بعيدا. أخذ يعسوب (ذكر النحل) يروح ويجيء فوق الحديقة . ماذا عسى "بن" أن يفعل الآن ؟ هل يقضي الساعات في التفكير فيها كما تفعل هي ؟

طنت ناموسة في أذنها ، أبعدتها بيدها . ابتسمت عندما فكرت في وجودها هنا ، تحت هذا العريش حيث قضت العديد من أوقات العصر الحالمة وهي طفلة . في كل صيف ، كان هذا هو المكان الذي تلوذ به لتلتقي بالفرسان الشجعان ، والأميرات الجميلات في روايات المغامرات .

كل صيف ، إلا الأخير طبعا . كان "بن" قد أصبح بكل تأكيد أميرها الساحر . وتحت العريش ، لم تعد تحلم بالماضي لكن بالمستقبل ، مستقبل قريب لايمتد أبدا بعد نفس المساء .مستقبل يعد بالحب الذي عرفته في رواياتها .

لقد عاد الصيف وها هو "بن" يشغل أفكارها من جديد . تتابعت الإجازات وتشابهت .

- صباح الخير .

نهضت السيدة الشابة فزعة. انفلتت من بين شفتيها صرخة دهشة .

قال "بن" وهو يدخل العريش :

- آسف . أردت أن أعلن عن قدومي .

عادت من جديد إلى مقعدها محاولة أن تهدئ خفقات قلبها ، تنفست بعمق .

قالت :

- لاعليك . كنت أحلم .

- هذا اليوم مناسب تماما للحلم .

جلس بجانبها ، لمست يده ساقيها العاريتين . هل كان ذلك عن طريق المصادفة ؟ اعترى السيدة الشابة رجفة .

حملق "بن" إليها بإصرار والابتسامة تكسو شفتيه كما لو كان متيقنا من الاضطراب الذي يسببه لها وجوده. لتتجنب نظراته ،

www.liilas.com

التفتت نحو الحشائش .

- هل روايتك مثيرة ؟

تامل الغلاف الذي صور البطل ذا صدر عار يستل سيفه .

قالت :

- لاباس بها .

- هل تتعاطفين مع البطل ؟

لمعت عيناه الزرقاوان .

كانت الشخصية التي تعلو الغلاف ذات نظرة ثابتة وحادة .

- ليس تماما . في الحقيقة معظم الأبطال متشابهون . وانت ، كيف ترى البطلات؟!

أجاب :

- متشابهات إلى حد بعيد .

لماذا ارتاحت "راشيل" إلى هذه الإجابة عديمة القيمة .

- كيف حال والدك ؟

- يبدو انه يتحسن .

- شاهدته ذات يوم يتريض مع "لورا" . كان يبدو على مايرام .

- نعم ، يبدو أن وجود "لورا" قد خفض من حدة اكتئابه .

في الحقيقة ، لم تر "راشيل" والدها ابدا في مثل هذه الحالة من الاسترخاء .

- ابنتك ، مشروع سيدة جميلة .

- نعم .

- لابد أنك فخور بذلك .

أجابت ضاحكة :

- نعم ، في معظم الأحيان .

- والدها جد محظوظ . يالأسف الايستطيع أن يراها تكبر وتصبح امرأة .

فكرت "راشيل" ، أن والد "لورا" يستطيع أن يراها تكبر إذا أراد ذلك .

إذا وجدت لديها الشجاعة وصارحته بالحقيقة .

نظرت إلى "بن" بطرف عينيها . كان ينظر أمامه مباشرة في اتجاه شجرة التفاح في الطرف الآخر من الحديقة . كان فكاه مشدودين . لماذا هذه الثورة الكامنة التي أعربت عن نفسها في نبض عرق على جبهته ؟ هل بسبب التفكير في أنها تزوجت رجلا آخر ؟ كانت تريد أن تحدثه عن "لورا" لكن ، وللمرة الثانية ، قررت أن الوقت ليس مناسبا بعد . كان مازال بينهما الكثير من التوتر .

سألته بصوت عذب :

- وكيف حال رئيسنا الجديد ؟

أصبح وجه "بن" صبوحا .

- أكد كثيرا ولا أجد تعاونا .

أقر مجلس إدارة الجامعة ترشيحي الشهر الماضي ، والآن تتحسن حالة والدك بشكل أسرع مما كان متوقعا إلا أن نصف أعضاء مجلس الإدارة يتساءلون : إذا كانوا قد تصرفوا بسرعة ؟

- السياسة في الجامعات الصغيرة شائكة مثلها مثل السياسة في مجلس الشعب .

- الأمر لايقف عند هذا الحد : هناك جو من سوء التفاهم ! ليست لدي أدنى نية لاستبعاد والدك من وظيفته إذا كان متمسكا بها لكني أود أن أكون بجانبه وأن يتيح لي الفرصة لكي أساعده في تقدم هذه الجامعة. إنه مكان رائع يتيح للطلاب تربية فكرية وروحية في نفس الوقت .

مثلما حدث في الليلة الماضية أثناء العاصفة ، امتلأ وجه "بن" بالحيوية بينما كان يتحدث : رأت "راشيل" أمامها ذلك المراهق الثائر الذي يريد أن يمنح الجميع فرصة التعلم والسعادة .

قال "بن" بحماس :

- يجب أن نرتقي بالجامعة بالقرب من الناس. يجب أن نتصل بالمدارس الثانوية . يجب استخدام الإعلام . وأن يعرف الجميع نوعية

www.liilas.com

التعليم الذي تقدمه . لأن الناس ليسوا على دراية كافية وفي هذه الأيام التي تراجع فيها القيد في الجامعة ، توشك جامعتنا على الانهيار وسيفقد البلد الكثير إذا حدث ذلك .

فكرت "راشيل" مبتسمة أن "بن" لم يتغير قيد أنملة ، أصبح صوته أكثر رنينا ، لكنه هو "بن" حبيبها .

- يجب أن أتحدث إلى والدك .

- إنه في المنزل . لماذا لاتدخل وتطلب الاجتماع به ؟

-الأمر ليس بهذه السهولة . إنه يرفض نهائيا مقابلتي . وحتى إذا كنت وجها لوجه معه ، يمكنه أن يرفض مخاطبتي . إني مضطر أن انتظر رضاه .

قرأت "راشيل" على وجهه شعور الغيظ المختلط بالتعب . تحت وطأة الهموم التي أحاطت بها في الأيام الماضية ، لم تهتم السيدة الشابة بانتقال السلطة ، لكنها تبينت الآن خطورة الموقف : سلوك "لورا" الغامض ، الملاحظات الساخرة لأبيها ، كل شيء فسر الآن لقد بدأت معركة قاسية .

القدماء ضد المحدثين . وإذا كان لابد من إطالة هذه الحرب ، فسيخسر الفريقان ، لأن الجامعة هي الضحية التي ستفقد إلى الأبد .

قالت "راشيل" :

- سأحاول أن أكلمه .

كانت مستعدة لعمل أي شيء لتساعد "بن" .

اقترح فجأة .

- ماذا لوقمنا بجولة في "جالينا" ؟

غاصت في عينيه الزرقاوين وابتسمت :

- هيا بنا .

كان "بن" يحب كثيرا الطريق المؤدي إلى "جالينا" . مدينة صغيرة ذات طبيعة خلابة على بعد مسافة صغيرة من "ديبيك" كل منعطف ، كل ربوة تحمل منظرا جديدا . لكن اليوم ، و"راشيل" تسير بجانبه ، كان

ذلك هو السبب الأساسي لسعادته .

لقد وافق مجلس إدارة الجامعة على تعيينه ، إلا أنهم الآن نادمون ، لأن البروفيسور "ديبرس" قد تماثل للشفاء .

لماذا يتحدث "بن" كثيرا عن الدعاية والتسويق ؟ و هذا هو السؤال الذي يتردد على أذهانهم . لماذا لم يوقع - بعد - العقود مع الأساتذة ؟ لماذا لم يتقابل - بعد - مع لجنة الطلاب القدامى ؟

رمق "راشيل" بنظرة . دهشا لوجودهما معا اليوم . كانت "راشيل" هي الشيء الوحيد الذي يشده لهذا الزمن ، حيث كانت المدرسة الداخلية بيته ، حيث كان شعوره الوحيدنحو العالم - الذي تركاه فيه والداه ورحلا - هو الغضب .

في ذلك الحين قابل "راشيل" . سحرته عيناها الزرقاوان ، هدأت من آلمه ابتسامتها الحانية . وهو الآن مازال يحتاج لهذه الابتسامة.

قال :

- إني سعيد جدا ، لأنهم لم يمهدوا هذا الطريق ، أجمل ما أحبه في هذا الطريق هو الطبيعة .

أومأت برأسها وهي تتظاهر كالمتعلمة التي تحتقر رجلا أميا .

استطرد:

- كان يعيش على هذه الأرض قبيلة هندية تدعى "كيكابو" ، قبل قدوم الرجل الأبيض الذي جزأها وأسماها "إيلينوا" - "وسكونسن" و"أيوا" .

- عفوا .

- منذ قديم الأزل ، قبل ظهور الإنسان ، جاء مع بزوغ الفجر حيوان ضخم يعد جد الثور الأمريكي . تتابعت القطعان مع بزوغ الشمس ، يطئون الغابة ويسوون الأرض بمرورهم عليها .

- هل لهذا السبب نرى اليوم السهول الفسيحة ؟ أتمنى ألا تكون لديك النية في أن يكون ذلك هو موضوع رسالتك في الدكتوراه .

تظاهرت بأنها تحملق فيه ، إلا أنها كانت تجاهد حتى لاتنفجر ضاحكة . كم تمنى أن يقبل شفتيها ! كيف يظل لها كل هذا التأثير

www.liilas.com

عليه ؟ هل كان بينهما حقا كل هذه السنوات من الفراق ؟

واصلت "راشيل" حديثها :

- حاربت حيوانات الغابة ، بقيادة اشجع الغزلان ، لكن كانت الثيران العملاقة اكثر قوة . اعتصمت الغزلان بالروابي وانتخبت من بينها متحدثا باسمها. غزال شاب يدعى (هاتاي) اي (زعيم المستقبل) اختارته لترفع شكاواها إلى الله .

غرزت السيارة في حفرة في هذا الطريق الوعر .

لقد استسلم "بن" لصوت "راشيل" الملائكي ولم ينتبه للطريق .

إنه لم يشعر بمثل هذه السعادة منذ زمن طويل .

- توجه "هاتاي" إذن إلى الله يرفع شكوى سكان الغابة. إذا كانت دمرت كل الروابي والوديان ، لاختفت حيوانات الغابة معها . وعد الله بان ينقذهم ، لكن بشرط أن تقدم قربانا . أن يهجر اشجع الغزلان الأرض ليذهب ويعيش إلى جوار ربه (توقفت لحظة لتلتقط انفاسها ولتضفي لمسة من التشويق على حديثها) ادرك "هاتاي" أن ليس لديه الاختيار : ودع إذن صديقته ، ظبية جميلة . التي عادت والموت يسكن روحها بعد فقد "هاتاي". وهذا هو السبب في أن الغزلان التي تسكن غابتنا اليوم حيوانات خائفة : لقد اخذ "هاتاي" كل الشجاعة معه عندما رحل .

سأل "بن" :

- والظبية الجميلة ؟ ماذا حدث لها ؟

- لم تتزوج أبدا وعاشت وحيدة في أعماق الغابة .

- هذه ليست نهاية سعيدة .

بقي "بن" شاردا لحظة . هل ارادت "راشيل" ان توصل إليه رسالة ؟ هل تحاول أن تقول له : إن حزنها على "ديفيد" يسكن قلبها إلى الأبد ؟

- هل هناك حكمة وراء هذه القصة أم انك قصصتها بغرض التسلية فقط .

انفجرت في الضحك ، ضحكة لاتخفي اي حزن .

- يمكن للمرء دائما أن يستخرج العشرات من العبر المختلفة من هذه الأساطير .

قال مازحا:

- ذكريني إذن الا اصطحبك معي عندما أريد التسرية عن نفسي .

أجابت على نفس الوتيرة:

- ومن قال لك : إني أريد الخروج معك مرة اخرى .

غلفهما صمت جميل . استيقظ شعور "بن" نحو "راشيل" ، ازداد وعيه بما يكنه لها من حب منذ سنين .

رمقها بنظرة . استجمع شجاعته وسالها :

- كيف تعرفت على "ديفيد" ؟

استطرد:

- لست مجبرة على الإجابة إذا كنت لاتريدين ذلك .

- لا ، ليس هناك مايضايقني في ذلك . كان يسكن بجوار خالتي وهكذا تقابلنا .

- اوه .

على الرغم من بساطتها ، أحبطته إجابة "راشيل" . كان يريد أن يعرف أكثر من ذلك .

- خيل إلي أنكما تقابلتما في المدرسة الثانوية ، أو في الجامعة.

- لا .

كيف يطلب أن يعرف المزيد دون أن يبدو متطفلا ؟

على الرغم من سطوع الشمس ، شعر "بن" أن النهار يظلم امام عينيه. أراد أن يطرد عن نفسه هذا الفال .

- حدثيني إذن عن "لورا" .

- "لورا" ؟

قال دهشا من اضطراب السيدة الشابة:

- نعم ، ابنتك . انت الأم الوحيدة التي قابلتها ولم تملا اذني بالحديث عن طفلتها .

www.liilas.com

دافعت عن نفسها بتلعثم :

- لم تتح لنا الفرصة لنتحدث معا .

- إذن ، هيا ، إني أتيح لك الفرصة . أعرف من أين أتت بجمالها ، لكن أخبريني : إذا كانت عنيدة مثلك .

- لم أكن عنيدة أبدا !

تحولت صرخة الاعتراض هذه إلى ضحكة تحت نظرات "بن" المتشككة.

- حسنا ، حسنا . أعترف أني كنت عنيدة مرة أو مرتين لكن ليس أكثر من ذلك .

- وفي المرة التي رفضت فيها أن أقابل والدك ؟

- كان سيطردك تحت تهديد السلاح إذا عرف مابيننا . أنت تعرف نزعته للحماية .

- إيه ، حسنا . لم أقابله إلا في مصادفات قليلة في حرم الجامعة . هل تعتقدين أنه كان على علم بعلاقتنا منذ البداية ؟لهذا السبب لايريد مقابلتي؟

قالت بصوت قاطع :

- لا . صدقني ، لو عرف أبي بعلاقتنا لحدثني في هذا الشان. إنه يتالم لفكرة مغادرة جامعته العزيزة. إنه لا يفكر في شخصك ولكن في الرجل الذي سينتزع منه وظيفته .

دخلا "جالينا" وركنا السيارة . سارا بدون هدف بجانب العمارات العتيقة ، فوق الأرصفة ، نسيا الجد في حديثهما ، تضاحكا وتحدثا كصديقين قديمين .

تاثرا بسحر المدينة ، تربصا في انحائها يدا في يد ، يتهامسان بدعابات ساذجة . كان النهار رائعا ، وكان "بن" قد عقد العزم على أن يستمتع به تماما .

صاحت "راشيل" فجاة بينما كانا يسيران أمام متجر للعاديات:

- هذه الطاولة ستكون رائعة لمكتبك .

- نعم ، ربما .

إنه لم يكن يفكر اليوم في الأثاث أو في الجامعة اليوم .

- تعالي ، لنلقي نظرة في الداخل .

- مرة أخرى .

- أي مرة أخرى ؟ نحن هنا وأريد أن أتسوق . النساء يعشقن التفرج على معروضات المحال .

قال ضاحكا :

- لماذا لم تخبريني بذلك مبكرا .

- كنت أعتقد أنك تعرف ذلك وقد وصلت إلى هذا العمر .

- لقد قضيت عشر سنوات في دير بقلب جبال "التبت" .

كنا نعيش في الحجرات المنحوتة في الصخر . مرة ، كل شهر كان يزورنا رجل قديس ونتحدث معه عن الحقائق التي تعلمناها خلال هذا الشهر . ثم مرتين في السنة .

قالت مقطبة الحاجبين :

- هل انتهيت . سنتجول في هذا المتجر ثم سنذهب لنتناول الفطور.

- حسنا ياسيدتي .

فتح لها الباب ودخلا المتجر . فحصت "راشيل" الطاولة بعناية فائقة، تحدثت مع البائع طويلا ، تسوق إليه حجة إعادة تلميعها لتخفض ثمنها . قررا أن يشترياها في النهاية وكذلك اشتريا طاولة منخفضة أيضا . أخذ "بن" يمزح ويضحك من هذا الفصال الذي دام بين "راشيل" والبائع .

ذهبا بعد ذلك لتناول الفطور في مطعم مجاور .

قال "بن" :

- لقد خدعت . اعتقدت حين قابلتك أنك أصبحت أكثر جمالا أما الآن فقد تأكدت أنك أصبحت متوحشة . لقد كنت أتضور جوعا وأنت تطوفين حول هذه الطاولة الحمقاء .

www.liilas.com

قالت معترضة :

- إنها طاولة رائعة ، انا متاكدة انها ستكون مناسبة تماما لمكتبك .

- ربما ، لكن هذا لايمنع انني كدت أموت جوعا .

- مسكين ، أيها الصغير "بن" !

كانت ضحكة السيدة الشابة بالنسبة لـ"بن" بمثابة قدوم الربيع احتوى يدها بين يديه .

قال وهو ينظر إلى عينيها :

- لكني أعرف طريقة ما لأسامحك .

ارتسمت على شفتيها ابتسامة رقيقة كما لو كانت تدرك تاثيرها فيه.

سالته وهي تتظاهر بالبراءة التامة :

- هل أساعدك في ترتيب الطاولات عندما تتسلمها ؟

- الا ترين أن ما قلته عنك صحيح : لقد أصبحت متوحشة. لم تفترق يداهما طوال تناول الطعام .

الفصل السادس

صاحت "لورا" لجديها وهما يبتعدان في الممر .

- استمتعا بوقتكما .

أضافت وهي تغلق الباب :

- اتمنى الا تتشاجرا .

رددت "راشيل" بوهن بعد مجيئها من جولتها في "جالينا" .

- مشاجرة ؟ عزيزتي ، لقد ذهبت من قبل لهذا النوع من العشاء ، صدقيني ، اجتماع غير رسمي مع أحد أعضاء مجلس الإدارة لايحوي أي مشاجرات .

قالت "لورا" بصوت كئيب :

- لكن بعض المدعوين قد صوتوا لصالح البروفيسور "هيلي" .

سالت "راشيل" نفسها ، لماذا كل هذا العداء تجاه "بن" ؟

- تعيين البروفيسور"هيلي" ليس إهانة لجدك . إنه لم يعد قادرا على تحمل مسؤوليات هذه الوظيفة وهو واع تماما لذلك .

- إنهم لم يمنحوه الفرصة بعد إصابته بالأزمة القلبية .

www.liilas.com

همت "راشيل" تجيبها إلا أنها رجحت الصمت . ماذا تستطيع أن تقول ؟ لقد اختارت "لورا" فريقا تنحاز إليه : لن يفلح دفاعها عن "بن" إلا في زيادة الموقف تعقيدا.

سألتها :

- ماذا تريدين أن تشاهدي على شاشة التليفزيون هذا المساء ؟

لدينا الاختيار بين ثلاثة برامج .

شاهدتا التليفزيون خلال ساعتين دون أن تتبادلا كلمة واحدة .

وعندما سئمت "راشيل" من تلك الشاشة التي تعزلها عن ابنتها قالت :

- هل تريدين حلوى الكريز التي أعدتها جدتك ؟

- نعم .

أخذتا من الحلوى وجلستا إلى مائدة المطبخ . لماذا أصبح الحديث صعبا مع "لورا" منذ قدومها إلى "ديبيك" ؟

- أخبرتني جدتك بأنك تعرفت على بعض الأطفال اليوم .

رفعت "لورا" كتفيها وهي تلهو بحبات الكريز التي سقطت من طبقها.

- "ميج" و"بيتسي فورستر" سيدرس والدهما الرياضيات هنا .

- هل هن لطيفات ؟

- نعم .

حديثهما لايتقدم . شعرت "راشيل" بالارتياح عندما سمعت طرقات على الباب خلفها . إنه "بن" .

قال وفي يده نظارة شمسية :

- لقد نسيت هذا في السيارة !

أدخلته إلى المطبخ . حيا "لورا" بوجه بشوش التي ردت التحية بفتور شديد . نظرت "راشيل" إلى ابنتها في غضب قبل أن تلتفت إلى "بن" .

- لاعليك . لن أحتاجها هذه الليلة .

- هذا من دواعي سروري . أوه ، أرى أنني قد جئت في الوقت المناسب . هل سمعت التحذير عن حلوى الكريز ؟

- تحذير عن حلوى الكريز ؟

- الجميع يعرفون أن حلوى الكريز تجذب مصاصي الدماء: خطير جدا ترك نصف الحلوى لم يؤكل .

- حقا ؟ إذن ، أتمنى أن تشاركنا في أكلها .

كانت دعابات "بن" تسعد "راشيل" ، أما "لورا" فقد ظل وجهها صارما.

ربما كانت الفرصة المناسبة لكي تتعرف ابنتها على "بن" وأن تكون رأيا خاصا عنه بدلا من أن تتبع تلقائيا رأي جدها .

- "لورا" ، ألا تحضرين طبقا للبروفيسور "هيلي" ؟

أطاعتها الفتاة ، لكن بامتعاض . نظرت إليها "راشيل" بغضب مرة أخرى إلا أنها تجاهلت نظرتها .

سألها "بن" :

- هل تقضين وقتا طيبا في "ديبيك" ؟

أجابت وهي تمد يدها بالطبق والسكين إلى أمها .

- نعم (وبعد صمت طويل ، نظرت إلى "بن") هل تريد شايا مثلجا ؟

- نعم ، شكرا .

- لقد تعرفت على الفتاتين "فورستر" اليوم . إنهما طفلتا مدرس الرياضيات .

أومأ "بن" برأسه . أحضرت "لورا" إليه كوب الشاي المثلج قبل أن تجلس .

قالت "لورا" وهي تقضم مافي طبقها :

- سنركب الدراجات في حديقة "إيجل بوينت" غدا .

- ربما استطاعت والدتك أن تعد لك السندوتشات .

أضاف "بن" :

- هناك أماكن للتنزه . يمكنك الاختيار بين المشهد المطل على النهر أو المطل على المدينة أو على مغارة مختبئة .

وضعت "لورا" طبقها في الحوض .

- في الحقيقة ، قبلت الذهاب معهما فقط لأن جدي سيكون في

www.liilas.com

المستشفى بعد الظهر ، وجدتي تقول : إنني لا أستطيع أن أرافقهما .

- إني واثق بانك ستقضين وقتا جميلا في المنتزه .

- ربما . هل يمكنني الذهاب لمشاهدة التليفزيون ؟

كيف سيتعارف "بن" و"لورا" بشكل افضل إذا ذهبت لتتسمر أمام التليفزيون ؟ لكن سيكون من الصعب أيضا أن تجبرها على البقاء .

- بالتأكيد يا عزيزتي .

قال "بن" :

- طابت ليلتك يا"لورا" .

قالت بصوت لا يكاد يسمع:

- طابت ليلتك .

لم يعد يسمع في المطبخ سوى أزيز الثلاجة . ازاحت "راشيل" طبقها.

قالت :

- آسفة . "لورا" اجتماعية في الحقيقة . اخشى أن تكون قد تاثرت بمشاعر جدها .

امسك "بن" يدها .

- هل أنت واثقة بان هذا هو السبب الوحيد ؟

نظرت إليه "راشيل" محدقة . لا ، إنه لايعرف ، لايمكن أن يكون قد عرف .

- أي سبب آخر ؟

تشابكت أصابعهما .

- لقد امضينا النهار معا وهانا معك هنا في المساء .

- هل أخطئ إذا قلت : إنك لم تخرجي مع رجل منذ موت "ديفيد"؟

- نعم . هذا صحيح ، لكن ..

- غالبا يتصرف الأطفال بشكل سيئ عندما يرون أمهم او اباهم يخرج مع شخص آخر .

اغلقت "راشيل" عينيها لحظة منتظرة أن تعبر عاصفة العواطف التي

اجتاحتها . هل خرجت حقا مع "بن" ؟ هل كان وجودهما معا هذا اليوم دون معنى حقيقي على الرغم مما يهمس لها به قلبها وعلى الرغم من أشواقها التي أحيتها قبلته .

قالت :

- نعم ، معك حق .

- لكنها ستتاقلم سريعا . أمهليها بعض الوقت .

نهض . تبعته "راشيل" حتى الباب تشعر بالندم لرحيله سريعا.

قالت :

- يمكنك أن تبقى وقتا أطول من ذلك .

- لايجب أن أظهر لـ"لورا" أنني لست خطرا مهددا لها .

- من الأفضل أن تذهبي إليها .

فجاة ، وجدت نفسها بين ذراعيه ، في قلب هذه الجنة التي طالما حلمت بها طوال اليوم . انحسر العالم من حولها : لم يعد هناك سوى "بن" وشفتيه الدافئتين .

لكن أعادها إلى الواقع أزيز الثلاجة المفاجئ

قالت وقد انفلتت من بين شفتيها ضحكة قصيرة :

- لقد فقدت عقلي .

تعانقنا في مكتب أبي وها نحن نعيد الكرة الآن في المطبخ .

لم تستطع أن تبعد عينيها عن عيني "بن" اللامعتين بوميض الشوق.

أرادت أن تلمسه وتشعر بنبضات قلبه .

سألها :

- هل تريدين تناول العشاء معي مساء غد ؟

- بالتأكيد .

ألقى إليها بالتحية قبل أن يختفي في الظلام .

احتاجت "راشيل" ثواني طويلة حتى تستعيد أنفاسها وتستطيع أن تقف دون أن تستند إلى الباب . ما الذي حدث لها هذا الأسبوع ؟

شعرت بأنها قد سحرت . عادت إلى الطاولة عندما جذب انتباهها

www.liilas.com

حركة . كانت "لورا" واقفة على عتبة الباب . لاجدوى من سؤالها: منذ متى وهي واقفة ؟ نظرتها تقول الكثير .

قالت "راشيل" وهي لاتعرف كيف تتصرف :

- هل انتهيت من مشاهدة التليفزيون ؟

- كيف لك أن ترتمي بين ذراعيه هكذا ؟

- لم أرتم بين ذراعيه . لقد تعانقنا . هذا كل شيء .

رددت "لورا" وهي على وشك البكاء وصوتها يهتز من الغضب :

- هذا كل شيء ! كان لابد أن تشاهدي نفسك وعينيك الدامعتين ومظهرك كالبلهاء .

- "لورا" .

مزق صوت السيدة الشابة الهواء . انفجرت الفتاة في البكاء .

قالت "راشيل" بصوت أكثر هدوءا :

- "لورا" ، لقد مات "ديفيد" منذ سنة وأكثر . أشعر بالوحدة ، حتى معك ومع جديك بجانبي . إني بحاجة لرجل يحتويني بين ذراعيه .

- لكن ليس هذا الرجل .

جاءت كلمات الفتاة كالسم ، بما تحمله من ضغينة لـ"بن" إلى درجة أفزعت "راشيل" . إن "بن" أبو "لورا" . كيف لها أن تكرهه إلى هذا الحد ؟

- ومع هذا .. هذه ليست غلطة "بن" أن يصاب جدك بأزمة قلبية. ليست غلطته أيضا أنهم عينوه مكانه . إذا لم يكن "بن" ، لكان شخص آخر . لم يعد جدك يقوى على ممارسة مهام وظيفته.

انتحبت "لورا" :

- كنت أفضل أن يكون أي شخص غير هذا . إني أكرهه !

- "لورا" ! أمنعك من أن تتحدثي هكذا !

لم تجب الفتاة . اختلط مظهرها غير المهذب بالخوف .

حدقت "راشيل" إليها لحظة ثم أدارت عنها بصرها . انصرفت "لورا" وهي تجري. تركت السيدة الشابة نفسها لتسقط على مقعد المطبخ ، منهارة تماما بسبب هذا الموقف المتفجر بينها وبين ابنتها. كيف

ستستطيع أن تصالح "لورا" على أبيها ؟

ذهب "بن" إلى منزل "راشيل" . لم يستطع أن يمكث في شقته . ذهبت "لورا" وفتحت له الباب . تاملته كانها قد رات دودة الأرض على ورقة خس لكنها تركته يدخل ..

- صباح الخير يا"لورا" . والدتك مستعدة ؟

- ستنزل خلال دقيقة . قالت جدتي : أن أجعلك تنتظر في الصالون.

قالت "لورا" هذه الكلمات بطريقة تفهمه بان طلب جدتها لم يكن بحسن لياقة .

قال :

- حسنا ، هل لي أن أطلب منك شرف مرافقتي ؟

لم تجب ثم ذهبت وجلست على ذراع المقعد ، مستعدة للنهوض مع أول فرصة .

سالها :

- كيف حال الدراسة إذن ؟

- إنني في إجازة .

لم يكن فقط دودة أرض ، بل دودة أرض بلهاء .

- أعرف أنك في إجازة . أردت فقط أن أعرف إذا كانت المدرسة تروق لك .

- نعم .

هل سيستطيع أن ينتزع من فمها أكثر من كلمتين ؟

- أنت في أي صف ؟ الرابع ؟ الخامس؟

عكست عيناها البنفسجيتان احتقارا لاحدود له .

قالت :

- إني ذاهبة للصف الثاني الإعدادي . لم أعد فتاة صغيرة .

- هذا ما أراه .

في الصف الثاني الإعدادي ؟ كيف لها أن تكون في الصف الثاني الإعدادي ؟ إنها إذن أكبر مما كان يظن .لكن هذا يعني إذن أن "راشيل"

www.liilas.com

لم تضيع وقتنا في أن تجد من يحل مكانه . هل اعتبرت حبهما حب صيف عابر ؟ ألم يكن سوى لعبة لفتاة مراهقة تبحث عن حب مشتعل وثائر ؟

شعر بمرارة تجتاحه حتى شعر بها في فمه . لقد انكسر حماسه لهذه الليلة .

لم يكن يجب أن يدعوها للعشاء . لا يجب أن يراها مرة أخرى .

لماذا اعتقد أن بإمكانه إحياء أحلام الحب الأبدي التي طالما لازمته ؟

- مساء الخير يا "بن" ، هل أنت جاهز ؟

كانت "راشيل" واقفة على باب غرفة الاستقبال ،متألقة في ثوب وردي.

- نعم ، إني جاهز .

سلكا طريقهما بالسيارة فوق الكوبري المؤدي إلى شرق "ديبيك". طوال النهار ، ترددت مشاعر " راشيل" بين الفرحة بدعوة "بن" على العشاء وبين الحزن لكراهية "لورا" لـ"بن" .

بينما بدا الجو جميلا ، ظهرت سحب سوداء أظلمت السماء .

لكنها كانت قد قررت الاستمتاع بكل لحظة من هذه الأمسية .

بشرط أن يشاركها "بن" هذا الاستمتاع إلا أنه لايبدو مرحا كعادته .

كانت عيناه مثبتتين على الطريق .

سألته :

- فيم تفكر ؟

ارتسمت على شفتيه ابتسامة دمثة .

- لاشيء .

- أنت صامت . هل هناك سبب لذلك ؟

- لا ، إني أفكر في المرة الأخيرة التي جئت فيها إلى "ديبيك" .

كانت "راشيل" تفكر في هذه الزيارة كثيرا هي الأخرى ، لكن هذه الذكريات تدفئ قلبها .

استطرد "بن" :

- قضيت أسابيع ساهرة عند عمي "چون" كان رجلا لطيفا للغاية . كنا نذهب للصيد كل صباح تقريبا . كنا نستيقظ قبل الفجر ، نفطر بسرعة وننزل إلى شاطئ النهر لحظة شروق الشمس .

سألت "راشيل" نفسها :

هل هذه هي أفضل ذكرياته التي يحتفظ بها عن ذلك الصيف ؟

وليالي حبهما ؟ همساتهما ، قبلاتهما الحارة ؟

- كنا نصطاد دائما قدرا كبيرا من الأسماك . ننقلها إلى البيت، نفرغها ونقليها للإفطار . مثل هذه الأعمال تبقى في ذهن المرء مادام يحيا .

نظرت "راشيل" إلى الطريق . أين ذهب الرجل الذي كانت معه في "جالينا" ؟ ذلك الذي أضحكها ، الذي أمسك يدها، الذي لم يتركها بعينيه . هل كان كل ذلك حلما ؟

وصلا إلى "تيمرمانز" المطعم الذي اختاره "بن" .

قال "بن" وهو يوقف محرك السيارة :

- يخيل إلي أنك تأتين كثيرا للعشاء هنا كل يوم أحد .

- نعم .

- كان عمي يقول دائما : إن هذا المكان هو الوحيد في المدينة الذي يقدم طعاما فاخرا . وخاصة يوم الأحد .

- إني أذكر العميد "هيلي" .. إنه چنتلمان .. رفيع الخلق .

أنت واثق بأنك تتحدث عن نفس الرجل ؟

أجاب "بن" :

- بدون شك . لقد كان عمي هو الدكتور "چيكيل" والسيد "هايد".

دلفا إلى المطعم وقادهما النادل إلى طاولة بالقرب من النافذة .

حيث كان المشهد بأسفل خلابا . يشبه نهر المسيسبي ثعبانا طويلا يتموج في اتجاه "أورليان الجديدة" . من الناحية الأخرى ، يمكنهما رؤية "ديبيك" وفي الشمال منتزه "إيجيل بوينت" حيث تبدو أشجار البلوط العملاقة ضئيلة . طلب "بن" العصير وارتشف كوبه في صمت

www.liilas.com

وعيناه مثبتتان نحو النافذة . يبدو "بن" بعيدا عنها .

سالته من جديد :

- فيم تفكر ؟

- لاشيء . كنت اتساءل فقط : إذا كان المكان قد تغير عن آخر مرة جئت فيها إلى هنا .

هل هذا مايجعل نظرته حزينة إلى هذا الحد ؟ قررت "راشيل" أن تمضي في اللعبة حتى تعرف السبب الذي غير أحواله .

- أتذكر انني عندما كنت طفلة ، كنت أتحرك في مقعدي محاولة رؤية هذا المشهد . كنا نجلس في هذا المكان بشكل عام .

اشارت إلى بعض الطاولات داخل المطعم .

- ألم يكن يشعر والدك بوضعه كرئيس جامعة ليحصل على مقعد بجانب النافذة ؟

- لا ، كان يرفض ذلك تماما .

قال "بن" :

- مع ذلك ، لقد فعلت انا هذا .

جاءت النادلة تتلقى طلباتهما . اختارا شرائح اللحم ، والبطاطس . هذه هي القائمة التي تختارها دائما عائلتها .

- هل ذهبت إلى الجامعة بعد مولد "لورا" ؟

- نعم ، تابعت المحاضرات المسائية .

- ماذا كنت تدرسين ؟

- الأدب الإنجليزي .

شعرت "راشيل" انها تعيش كابوسا : كان الأمر كانهما يتقابلان للمرة الأولى وأمامهما أن يتبادلا كلمات التعارف البديهية . ماذا حدث بين الأمس واليوم ؟

سالته بأدب :

- وأنت ؟

هز كتفيه .

- علوم اقتصادية وحقوق . نلت الدكتوراه في العلوم الاقتصادية.

أحضرت السلطة التي أكلاها في صمت . زادت الضحكات المتصاعدة من الطاولات المجاورة توتر السيدة الشابة . تظاهرت بانخراطها في تامل النهر المتدفق إلى أسفل . لماذا يبدو "بن" بعيدا عنها ؟

قال فجاة :

- لابد أن "ديفيد" كان رجلا خاصا بالنسبة لك .

نظرت إليه دون أن تفهم :

استطرد "بن" :

- كنت دائما تخبريني أن والدك متشدد تماما . أتخيل إذن أن "ديفيد" رجل خاص جدا إذ استطاع الارتباط بك مبكرا جدا قبل المدرسة الثانوية .

ترددت "راشيل" لحظة . ربما كان من الأفضل أن يستمر "بن" في جهله بالحقيقة .

- نعم ، كان "ديفيد" رجلا جيدا جدا .

تذكرت شجاعة وقوة "ديفيد" الداخلية : إنه هو من علمها مواجهة نتائج الماضي وعدم الهروب من الحقيقة .

قالت :

- ماذا لو تحدثنا قليلا عن مغامرات البروفيسور "بنجامين هيلي" .

- ليس بها ماهو مشوق .

- هل هذه وسيلتك في اجتذاب الفتيات ؟

- لا . عامة أقص عليهن الأكاذيب .

انفجر الاثنان في الضحك .

سالته :

- وكيف كانت "دارماوس" ؟

- من الصعب أن أقول لك : لم أمكث بها إلا أسبوعا .

- أسبوع ؟

www.liilas.com

لم يكن هناك إذن عندما كتبت له لتخبره بحملها .

- نعم . لم أكن أشعر انني مستعد للدراسة الجامعية - التحقت إذن بالبحرية ..

- كل هذه الأسفار التي تتحدث عنها إذن ، الشرق ، البحر المتوسط..

قال بابتسامة فاترة :

- نعم . لقد نسيت أن أوضح أن تلك الأسفار كانت أثناء الخدمة العسكرية . لكني لا أندم على شيء : لقد كانت تجربة غير عادية . تعلمت أن أكون رجلا للمهام الصعبة .

صمتت "راشيل" برهة وعيناها مثبتتان على "بن" بطريقة ما ، كانت دائما مقتنعة أنها و"لورا" وحدهما من يعانيان . تبينت اليوم أن حياة "بن" لم تكن بدون اختبارات .

- هل عدت إلى "دار ماوس" بعد ذلك ؟

- ذهبت إلى جامعة "لورانس" في "ابلتون" في "وسكونسن" ثم إلى جامعة "شيكاغو" . لكن خلال كل هذه المدة ظللت على اتصال بعمي ، وبفضله عرفت أنني قد خلقت لهذه المدينة الصغيرة من "ميدويست" إنني أريد أن أحيا هنا ، مثل عمي ووالدي .

أحضر الطبق الرئيسي . أكلا من جديد في صمت ، لكنه صمت يحوي سلاما وألفة . فكرت "راشيل" أنهما يعرفان بعضهما بعضا جيدا ، ومع ذلك هناك العديد من الأشياء التي تنتظر أن يعرفاها عن بعضهما .

عندما جاء النادل ليرفع الأطباق من فوق المائدة كانت السيدة الشابة تتفحص والد ابنتها عن كثب . لقد أصبح قويا، راشدا ونفس الوقت أكثر حنانا وصبرا .

- هل تريدان الحلوى ؟ لدينا جاتوه لذيذ بالشوكولاتة .

وافقا على العرض . وبعد ذلك ، سارا إلى موقف السيارات في خطى بطيئة . توقفا لحظة ليشاهدا البر الآخر من النهر . هناك ، شمال "ديبيك" ، فوانيس السيارات تضوي في الظلام .

قال "بن" :

- أعتقد أن منتزه "إيجل بوينت" لم يتغير .

- لا .

- مازال المراهقون يلوذون به هاربين من مراقبة الكبار .

- نعم .

- الحياة تستمر . أليس كذلك ؟

- نعم ، الحياة تستمر .

www.liilas.com

الفصل السابع

كانت "راشيل" ممددة على سريرها وهي مازالت في ثوبها الوردي ، محملقة إلى السقف . من المرجح أن يكون "بن" قد وصل إلى شقته . هل خاب أمله مثلها في تلك السهرة التي لم تكن كما حلمت بها ؟ هل لاحظ شيئا ؟ وماهي مشاعره المحتملة تجاهها ؟

هل كانت المشاجرة التي حدثت بينهما قبل رحيله منذ خمسة عشر عاما حاضرة في ذهنه ليلة أمس . كان في ليلة مماثلة لتلك : النسيم يهز أوراق الشجر برفق ، صفحة السماء المرصعة بالنجوم، والقمر بازغ وسطها : تظلل العاشقين في هذه الليلة .

قالت "راشيل" لـ"بن" :

- لقد رتبت كل شيء .

- رتبت ماذا ؟

أراحت رأسها على صدر "بن" . كانا مستلقيين في المنتزه ، عند مدخل الكهف ، جنتهما .

قالت :

- لقد تحدثت إلى "دوث أوبريان" . أخبرتني أن بإمكانك أن تكتب على عنوانها .

نهض "بن" .

- لقد قلت لك مرارا : إنني ليست لدي النية في أن ألعب لعبة التخفي .

- "بن" ، كن عاقلا .

- لقد تعبت من كل هذه الأكاذيب .

نهض وأصلح ثيابه بسرعة .

- ربما لديك حل آخر؟

كانت تخشى أن تفقده . لقد كان كل حياتها .

- إني أدرى بحال أبي .

- بالتأكيد لا ! لقد قابلته أربع مرات ، لا تتعدى خمس الدقائق ، ولم تتحدث بشأنك .

نهضت بدورها .

- "بن" . أرجوك ! كيف أن تفهم . سيستشيط أبي غضبا إذا عرف الحقيقة . سيكون حلمه أن يحبسني في برج من العاج . أمسكت بذراعه .

- "بن" ، أرجوك ! ساحدثه ، أعدك بذلك ، لكن دعني أختار اللحظة الملائمة . في انتظار ذلك ، اكتب لي عن طريق "دوث" .

هرب من قبضتها وذهب يستند إلى صخرة . والقمر يضيء وجهه العابس .

همست :

- أحبك يا"بن" . لاتطلب مني ذلك .

أجابها بفتور :

- كان لابد أن أفعل من زمن بعيد . أريد أن أذهب لأقابل والدك غدا قبل أن أذهب إلى الجامعة .

- غدا ؟ لا مستحيل . أمهلني بعض الوقت . ساخبره ، أعدك بذلك.

www.liilas.com

لم يجب "بن" . في الظلام كانت نظرته غامضة . ومضى دهر. قال أخيرا :

- التقطي حذاءك يا "راشيل" سنعود .

غادرا المنتزه دون أن يتبادلا كلمة واحدة . وعندما وصلا خلف المكتبة ، توقفا .

قال :

- عليك أن تقرري إذن يا "راشيل" . إما أن آتي لأرى والدك غدا أو أن نقول وداعا .

حل الخوف محل الغضب في قلب "راشيل" . على الرغم من كثرة أسفاره ومثله العليا كانت "راشيل" تعرف أكثر منه .

أجابت :

- لا الأولى ولا الثانية . لايمكنك أن تقابل أبي غدا . سيمنعك رسميا من الكتابة لي ومن رؤيتي . إذا كنت تحبني كما تدعي ، ستفعل ما أقوله لك .

في لحظات الصمت التي تلت كلماتها ، شعرت "راشيل" بثقل شكوكها ومخاوفها ، لكنها كانت مقتنعة من أنه سيوافقها. كان ذلك هو الحل الوحيد .

قال :

- حسنا ، إنه الوداع إذن .

قفز قلب "راشيل" من بين ضلوعها ، لكن تغلب الغضب على مشاعرها.

أجابت بصوت قاطع :

- حسنا .

سحبت من جيبها عنوان "دوث" ودسته في يد "بن" وقبلت خده .

- هذا عنوان "دوث" . حظا سعيدا في "دارماوس" .

ابتعد ، لكنها كانت واثقة بأنه سيعود . لن يرحل قطاره إلا مساء الغد . ستقضي اليوم تحت العريش وسياتي ليفاجئها. سينتهي به

الأمر إلى أن يراها على صواب .

طوال النهار التالي ، ظلت "راشيل" مستلقية في العريش ، لكن لم يات "بن" .

عندما فتحت "راشيل" عينيها ، كان الظلام يملأ الغرفة .

ألقت نظرة إلى المنبه : كانت الساعة قد تخطت الثالثة صباحا.

إنها لم تعد "راشيل" ذات السادس عشر ربيعا و"بن" ليس ذا الثامن عشر . والسحر الذي كان بينهما قد ذهب بلا رجعة .

- يسعدني رؤيتك يا "چورج" .

- صباح الخير "بن" .

صافحه "چورج ويكرشام" قبل أن يجلس على المقعد الجلدي ووجهه متجه إلى النافذة المشمسة . جلس "بن" إلى مكتبه .

ترك المحاسب العجوز ، الذي شغل منصب رئيس مجلس إدارة الجامعة منذ أكثر من ثلاثين عاما ، تامل مشهد الحرم الجامعي .

- من الآخر الذي يضع تعيينه محل الشك ؟

قال "چورج" :

- "بن" ، لقد ألغيت اجتماع المجلس المزمع عقده هذا المساء .

الجو ليس مناسبا لاتخاذ قرار إيجابي .

انفلت من بين شفتي "بن" تنهد عميق .

قال :

- ليس هذا إلا تاجيلا لأمر محتوم . اسمعني ، إذا كانوا يريدون عودة البروفيسور "ديبرس" ، فسانسحب من السباق .

كان "بن" يفضل أن يتقابل مع معارضيه ويسوي هذا الأمر بسرعة وبوضوح . إذا لم يكونوا يرغبون فيه ، ليذهب في هدوء . على أية حال ، الطريق إلى الرحيل يدعوه :

تحول حلمه - أن يجد "راشيل" - كابوسا . لماذا يرحل ؟

قال "چورج" :

- ليس هناك مجال للانسحاب . ردود الأفعال التي نخوضها الآن لن

www.liilas.com

تخلف إلا الندم . لاأحد ، حتى الأطباء الذين تابعوا حالة "روبرت ديبرس" لاينتظرون أن يكون شفاؤه كاملا .

هذا لايغير شيئا بشأن حقيقة مؤكدة وهي أن الاكتئاب سيضيع وقتا كبيرا . نحن بحاجة إلى دم جديد ، وأفكار جديدة .

سينتهي الأمر بالأعضاء المعارضين لك أن يتفقوا معنا في طريقة النظر إلى الأمور .

- نعم ، لكن بعد كم من الزمن ؟ كم من الزمن سانتظر في ظل هذا التشكك ؟

- لقد كنت عضوا في مجلس إدارة الجامعة عندما عين البروفيسور "ديبرس" . كان ذلك أفضل قرار اتخذته الجامعة على الإطلاق . لكن الزمن قد تغير. أصيب أبطال الماضي بالإجهاد .

- لقد جعل من هذه الجامعة مؤسسة تعليمية متميزة .

- نعم لكنه إذا بقي رئيسا لها ، فستموت الجامعة .

- لاأدري عن ذلك شيئا .

- كن عاقلا يا"بن" الارتقاء بالجامعة في السوق الحالي يتطلب رجلا ذا حماس ، يمتلك الشعلة المقدسة . ويمكنني أن أقول لك بحكم خبرتي: إن مع تقدم العمر تفقد هذه الشعلة قوتها .

لم يجب "بن" .

استطرد "جورج":

- لقد أرجأت اجتماع مجلس الإدارة إلى الأسبوع القادم ستخبرك سكرتيرتي باليوم والساعة المحددين .

حيا "بن" ورحل، أقفل الباب خلفه بهدوء .

عاد الصمت إلى الحجرة . كان "بن" يفكر . ما أهمية أن يبقى إذا كان عليه أن يكافح بمفرده ؟ هل سيجد يوما ما يثبت أقدامه ، ذلك الشيء الذي طالما بحث عنه ؟

كان يود لو يستطيع أن يعترف لـ"راشيل" لكن هل هي موجودة بالفعل تلك الفتاة التي اعتقد أنه يعرفها وأنه يحبها ؟

بعد اكتشاف سن "لورا" ، لم يعد متأكدا من ذلك . "راشيل" التي أحبها لم تكن لتجد من يخلفه بهذه السرعة . غاضبا من نفسه ومن "راشيل".

خرج "بن" من المكتب .

قال للسكرتيرة :

- سأقوم بجولة .

- احترس يا بروفيسور "هيلي" . الشمس قاسية اليوم .

لم يكن في رأسه وجهة محددة ، لكن أخذته خطاه عبر الحرم الجامعي ، ثم في الحي السكني حتى شاطئ النهر . جلس على الحشائش وأخذ يرمي بشكل تلقائي بعض الأحجار الصغيرة في الماء.

لماذا قص علي "راشيل" هذه القصة الحمقاء عن الصيد ؟

إن الذكريات التي تربطه بهذا النهر مختلفة تماما . كان يأتي إلى هذا المكان كل مساء مع "راشيل" . كانت توافق أن ترافقه في الليل في السهول المطلة على المسيسبي لكنها كانت ترفض بعناد أن يقابل والديها .

حرقت الدموع عينيه ، فركهما . لابد أن "راشيل" ليست مخطئة تماما، بما أن والدها مازال يرفض أن يقابله .

فكر "بن" وهو يلقي بحجارة ملء يده . أوه ، ما أهمية ذلك ؟ ما أهمية التمسك بالبقاء هنا ؟

لم تجلب له هذه المدينة إلا المضايقات ، وسيظل ذلك حالها . لابد أن يجد قرارا : ليس في هذا المكان حيث ستتجسد أحلام مراهقته.

لكن في قرارة نفسه ، كان يعرف أن الهروب لن يدر عليه شيئا . إنه لايريد أن يجابه من جديد الألم الذي شعر به عندما غادر "ديبيك" لأول مرة . وحتى إذا كانت "راشيل" لم تحب "بن" منذ خمسة عشر عاما ، فستحبه اليوم .

بعد العشاء في "تيمر مانز" وليلة مسهدة ،قررت "راشيل" ألا تفكر في الماضي . لقد انتهت قصتها مع "بن" . لقد عاشت معظم حياتها بدونه ، لم يكن هناك أدنى سبب يجعلها غير قادرة على الاستمرار هكذا . لايوجد أي سبب لتشعر بهذا القهر .

انشغلت "راشيل" وأمها اليوم في الصالون . لقد قضتا اليوم في حزم الكتب في صناديق . وجدت "راشيل" البومات صور قديمة. كان هناك ست عشرة صورة. أخذت لها أمام شجرة عيد الميلاد . أسفت

www.liilas.com

السيدة الشابة أن ليس لـ"لورا" و"ديفيد" مثل هذه الصور .

توقفت "جيسيكا" عن العمل لتعد طعام الإفطار ، تاركة ابنتها في أحلامها . طرأ إلى ذهنها فجأة أن لو لم يكن لها ولـ"بن" مستقبل فسيبقى مستقبل الجامعة معلقا .

لقد حان الوقت لوقف عناد والدها . صعدت الطابق الأول .

قالت وهي تدخل غرفة والدها :

- هل تريد مرافقتي ؟

أضاء وجهه ابتسامة مرحبة ، جلست السيدة الشابة على الأريكة. قالت:

- لم تلعب الشطرنج مع "لورا" هذا الصباح . اعتقدت إذن إنه ربما ترغب في اللعب معي دورا صغيرا .

- نعم ، لم لا ؟

نظمت قطع الشطرنج على الطاولة .

- أطلعتني أمي على صور لمقر إقامتك عندما تخرج إلى المعاش -إنه جميل . يبدو أنها فرية .

أجاب والدها بعينين منخفضتين :

- "الإسكيمو" يسوون مشكلاتهم أفضل منا . عندما يصبح مسنوهم عديمي الفائدة يضعونهم على مقعد من الثلج ويدفعونهم. إنهم يموتون أسرع بهذه الطريقة . أما مجتمعاتنا فيفضلون إخفاء الأشخاص الذين وصلوا "للعمر الثالث" في بيوت للمعاش.

بدأ اللعب بتحريك قطعة الشطرنج .

قالت "راشيل" :

- إن "برلينجتون" أقرب إلى "سانت لويس" عن "ديبيك " يمكننا أن نتلاقى كثيرا .

لم يجب "روبرت" ركزت "راشيل" في اللعب وحركت حصانا . كان الصمت ثقيلا . كانت عينا السيدة الشابة تنتقل بين أبيها وبين طاولة الشطرنج .

أخيرا قالت :

- لدينا صناديق كثيرة تنتظر أن نملأها. أعتقد أن لديك أشياء

كثيرة لتسويها قبل أن ترحل .

تمتم :

- مثل ماذا ؟ أن أنظر هؤلاء الشيوخ المتداعين في مجلس الإدارة الذين يفقدون شخصيتهم أمام هذا المدعي الغر ؟

تظاهرت "راشيل" أنها ليست مدركة لما في نفسه من مرارة .

- لابد أن نناقش الكثير من الأمور مع البروفيسور "هيلي". عقود الأساتذة ، المقررات التي طرحتها ...

قاطعها :

- أخبرتني "لورا" أنك قضيت وقتا طويلا معه . كان لابد أن أشك في أنك منحازة إليه .

كان صوته حانقا مثل صوت "لورا" . فرغ صبر "راشيل" وتحول إلى غضب .

- لم أنحز إلى أحد . على أية حال ، هذه ليست المشكلة .

المشكلة أن تعرف : من أفضلكما بالنسبة للجامعة ؟

هل تريد لمقرراتك التي لاقيت العناء في وضعها أن تفشل لمجرد أنك لاتريد شرحها لشخص آخر ؟

رمقها بنظرة حارقة .

- هذا الرجل يسرق مكاني وأنت تقضين معه وقتا أكثر مما تقضين معي .

جاهدت "راشيل" حتى لاتفقد صوابها وذلك لمصلحة "بن" .

- هذا خطأ ياأبي . ومن ناحية أخرى ، "بن" وأنا صديقان قديمان . أليس من الطبيعي أن نجد سعادة في أن نتقابل ؟

- كم من أصدقاء الطفولة عاودت رؤيتهم بخلاف "بن" ؟

- أبي ، هذا الحوار سخيف . هذا ليس خطئي ولا خطأ "بن" إذا كان مجلس الإدارة قد قرر أن يخلفك شخص آخر بعد أزمتك الصحية . فلماذا هذا العداء إذن ؟

- ولماذا لاتفوتين فرصة إلا وتذكريني أنني أقلت ؟

نهضت ترتجف من الغضب . منذ خمسة عشر عاما لم تبد قريبة جدا للدخول في معركة واضحة مع أبيها مثل الآن .

www.liilas.com

- كفى يا أبي . كفى أن أراك تلوم الآخرين لأنك قد هرمت . لقد كرست حياتك كلها من أجل الجامعة والآن تخاطر بكل شيء من أجل عنادك الأحمق . وما هو أخطر من ذلك ، إني لا أحب أبدا ماتفعله بـ"لورا" . إنها ليست إلا صبية : ليس لديك الحق لتجعلها تقاسمك الكراهية . افعل ماتشاء لكن لاتحول ابنتي إلى وحش من التعصب وعدم التسامح .

سكتت . خيم صمت يشبه صمت الموت . لم يحرك أبوها عضلة واحدة . خرجت "راشيل" وهي مقتنعة بأنها قد أضرت بـ"بن" . هجومها لن يخلف إلا زيادة ثورة أبيها .

الفصل الثامن

تناولوا طعام الإفطار في هدوء. لم تعرف "راشيل" من كان أكثر تزمتا: هي أم والدها ؟ مهما حدث ، لقد ارتاحت عندما عادت إلى ترتيباتها في الصالون . ومع ذلك لم تكن أفكارها وردية ، بالأمس كان كل شيء يسير على مايرام ، واليوم قد قطعت أواصر الود مع والدها ويبدو أن "بن" قد بعد عن منالها .

فجأة ، كان "بن" أمامها ، خرج لاتدري من أين ، في يده باقة ورد كبيرة .

قال :

لتسامحيني على دعوتي المتواضعة بالأمس على العشاء .

لمع بريق الماضي في نظرته .

قالت معترضة وهي تستنشق الورد وقلبها يرقص من السعادة :

- لقد كنت رائعا . واستمتعت بوقتي كثيرا .

- لكن كانت ستكون ليلة أفضل ، أفضل بكثير .

كانت نظرته ملحة اضطرت "راشيل" أن تخفض بصرها .

ماذا يحاول أن يقول لها ؟ إنه يريد أن يعيد كل شيء ؟

www.liilas.com

استطرد :

- لدي موعد بعد بضع دقائق . لاأستطيع حقا أن أبقى .

لقد مررت فقط لأهديك هذه الزهور وأطلب منك أن توصلي ذلك لوالدتك.

مد إليها يده وبها ظرف مدون أعلاه اسم الجامعة .

- هذه ليست استقالتك ، أتمنى ذلك .

أجاب ضاحكا:

- أوه ، كلا . أطلب منه فحسب أن يقابلني يوما ما خلال هذا الأسبوع .

- حاولت أن أتحدث معه ، لكنه لم يرد أن يسمع شيئا .

أعتقد أنني عقدت الأمور .

- هذا يدهشني .

انحنى ليقبل شفتيها برقة ، قبلة أيقظت بها مشاعر جميلة .

استطرد :

- هناك الكثير في جعبتي ، لاتقلقي إذا رفض طلبي ستنتهي هذه القصة بأن تنتظم الأمور .

سألت "راشيل" نفسها ، لكن كيف ؟

التفت إليها قبل أن يغادر الحجرة .

قال و الابتسامة تعلو شفتيه :

- أحصل دائما على ما أريد .

سألت "راشيل" نفسها ، دائما ؟ وماذا يريد ؟

لكن كان "بن" قد مضى بالفعل . وضعت الزهور في زهرية وأخذت تشاهد الصور. عطرت زهور "بن" الحجرة وملأت قلب السيدة الشابة بالسعادة .

تقدم "بن" في اليوم التالي ومعه سلة خاصة بالرحلات .

قال لـ"راشيل" :

- الجو جميل جدا لايجب أن نبقى بالداخل. اذهبي وأحضري ابنتك وهيا نتنزه عند النافورة.

أجابت السيدة الشابة ضاحكة :

- أنت مجنون . لا أنوي الغطس في هذا الحوض معك .

- آه ، أنت خائفة ! أنت تعرفين قدرة هذه النافورة . تخشين الوقوع في الحب .

- كلا ، أخشى فقط أن أصاب بالبرد .

تقدم خطوة نحوها. قال :

- حسنا . لكن في يوم قادم سنجرب قوة هذه المياه .

كان صوته العذب يحمل وعدا وتحديا .

ماذا يريد منها ؟

قالت "راشيل" وهي تصعد درجات السلم :

- ساحضر "لورا" .

لم تبد "لورا" أي حماس .

- لا أحب النزهات .

كانت "راشيل" تعرف أن ابنتها تكذب . كم من مرة اقترحت عليها الذهاب لتناول طعام الإفطار في المنتزه الذي يقع بالقرب من منزلهم أو حتى في حديقتهم الصغيرة .

- الأمر لايتعدى ساعة تقضينها مع البروفيسور "هيلي" . كاد يعتقد أنك تكرهينه .

- إنه ليس غبيا إذن كما كنت أظن .

- أمرك أن تأتي معنا وتظهري ودك .

نهضت "لورا" كأنها ذاهبة إلى طبيب الأسنان وتبعت والدتها على السلم .

قال "بن" مبتسما :

- صباح الخير يا "لورا".

- أهلا .

لو كانت رياح قادمة من "انتاركتيك" لكانت أكثر دفئا من استقبال "لورا" . لكن تظاهر "بن" بعدم ملاحظة ذلك .

فتحت الباب على مصراعيه وسلك الثلاثة طريق النافورة .

قال :

- عندي ميعاد الساعة الواحدة ، أخشى ألا يكون لدينا الوقت

www.liilas.com

لنتجول .

سألت "لورا" :

- مثل منتزه "إيجل بوينت" ؟

قهقه "بن" :

- إذا كنت تجدين "إيجل بوينت" مكانا جميلا فإن والدتك قد أثرت فيك كثيرا .

تدخلت "راشيل" :

- لاتقل لها ذلك ، خاصة بعد أن أصبحت تصر على الذهاب هناك ليلا .

قالت "لورا" موضحة :

- في جماعة يا أمي .

- "لورا" هذا ليس الوقت ولا المكان المناسب لنعيد مناقشة هذا الموضوع .

اتخذت الفتاة المراهقة "بن" شاهدا :

- ألا تعتقد أنني كبيرة بالقدر الكافي حتى أخرج مع ولد ؟

- لا ، بالتأكيد .

إجابة "بن" التقليدية ووجه "لورا" العابس انتزعا الابتسامة من شفتي "راشيل" . دون أن تعرف ، لقد تحدث "بن" توا كالأب . لكن هذا ليس عدلا. أمي تريد أن تحبسني : ليس لي الحق في الاستمتاع بوقتي.

ابتسم "بن" للسيدة الشابة :

- كأني أستمع إلى مناقشاتك التي كانت تدور مع أبيك .

دهشت "لورا" ، نظرت إليه في عينه مباشرة :

- كيف عرفت ؟

تعجلت "راشيل" بالإجابة.

- البروفيسور "هيلي" وأنا صديقان قديمان . في هذا الوقت كنت أشكو - لمن أجد له آذانا مصغية - من شدة أبي .

قالت "لورا" :

- توافقين إذن على أنها كانت شدة ؟

- أنا لا أوافق على أي شيء . كنت في السادسة عشرة في ذلك الوقت. وأنت ، ليس لديك إلا .. (صمتت خشية أن تفصح عن أكثر مما يلزم) أنت ، أصغر بكثير . عندما تصلين إلى سن الخروج . ستنالين موافقتي . هذا وعد .

اطمأنت "لورا" وتركت هذا الموضوع الشائك . وصلوا أخيرا إلى حافة النافورة . تذكرت "راشيل" أيام الصيف عندما كانت تبحث عن الانتعاش في هذا الحوض . لكن تحت حكم والدها لم يجرؤ أحد على القيام بمثل هذا الفعل .

قال "بن" :

هل تريدين أن تحاولي ؟

قالت متهربة :

- كنت أعتقد أننا هنا لتناول طعام الإفطار .

جلسوا على حافة النافورة . فتح "بن" السلة التي بها الطعام . قال وهو يمد يده لكل منهما بساندوتش زبد فول السوداني :

- لقد أعددتها بنفسي .

قالت "راشيل" متهكمة :

- يالها من وليمة !

سألته "لورا" :

- كيف أنك لست متزوجا يا بروفيسور "هيلي" ؟

قال وهو ينظر لـ"راشيل" :

- لنقل : لأنني لم أقابل المرأة المناسبة في الوقت المناسب.

رددت السيدة الشابة في نفسها أنها قد جاءت إلى "ديبيك" لترى والديها وليس لتجد الحب . لكن إذا جاء هذا الأخير واعترض طريقها فلن تدعه يهرب منها ، أما الآن ، فستكتفي بقبول كوب عصير البرتقال وطردت عن ذهنها بحزم أحلام اليقظة .

قال "بن" :

- لصحتنا جميعا ، لقد أحضرت جزرا أيضا وتفاحا وبطاطس شيبسي .

رددت "راشيل" :

www.liilas.com

- بطاطس شيبسي ، ياله من نظام غذائي للحفاظ على الصحة!

أما "لورا" فأخذت تاكل في سعادة من الكيس الذي فتحه "بن". قالت الفتاة المراهقة :

- هل تعلم ، كنت أتخيل أن الرجل الذي يحب الأطفال لدرجة أنه يريد العمل في الجامعة لابد أن يتزوج ويكون لديه أطفال .

قال "بن" مفسرا :

- ليس من الضروري أن يكون سلوكي أبويا تجاه الطلاب . عملي هو أن أدير وأرتقي بالمؤسسة التعليمية. لست أدري كيف يفكر في ذلك طلاب اليوم ؟ لكن عندما كنت في الجامعة ، لم أكن أعتبر نفسي طفلا .

سألت "راشيل" :

- هل تبدو لك الجامعة مختلفة منذ خمس عشرة سنة ؟

قال ضاحكا :

- أصغر .

- معظم التغيرات غير مرئية من الخارج . لقد جددت المعامل العلمية. وضعت الحاسبات الآلية في كل مكان تقريبا ، لكن المنشآت نفسها لم تتغير .

- نعم ، لقد قدمت قليلا وغطاها شجر اللبلاب .

قالت "راشيل" :

- الزمن يؤثر علينا أيضا .

سأل "بن" :

- هل يغطينا باوراق اللبلاب .

حتى "لورا" انفجرت ضاحكة :

أوضحت "لورا" :

- أقصد أن : حتى لولم تتغير أجسامنا أو أشكالنا فمن الممكن أن نكون قد تحولنا أشخاصا آخرين تماما .

همس "بن" لـ"لورا" :

- ماذا تحاول أن تقول لي ؟ أنها قد تحولت إلى إنسان آلي ؟

أومأت "لورا" برأسها .

- نعم ، إنها أم إلكترونية .

- ليس مدهشا إذن أن تكون ناقلة أثاث ماهرة .

قالت "لورا" :

- إن أمي موهوبة في العديد من الأشياء .

- أنا لا أشك في ذلك .

أخذ جو التنزه شكلا جديدا . نظرت "راشيل" إلى ساعة الحائط الكبيرة التي تزين واجهة المكتبة . ارتاحت عندما رأت أن الساعة تقترب من الواحدة موعد الرحيل . رافقهما "بن" حتى المنزل . لقد أصبح الصمت المخيم على الحرم الجامعي صمتا ثقيلا .

قالت "راشيل" :

- لقد استمتعنا بوقتنا كثيرا . أليس كذلك يا "لورا" ؟

قالت "لورا" كما لو كانت تتلو درسا حفظته عن ظهر قلب .

- شكرا على دعوتك .

جرت الفتاة داخل المنزل بينما تأخرت "راشيل" لحظة في الشرفة.

قال "بن" :

- لست أدري لماذا تكرهني إلى هذا الحد . بوجه عام ، يراني الناس مثيرا للاحترام .

قالت "راشيل" :

- لقد تقدمت . لقد تحدثت معك وقبلت منك بطاطس الشيبسي . ربما ستراك بعين مختلفة .

أمسك يد السيدة الشابة برقة ولكن ببعض القوة حتى لاتجذبها.

- أنت أيضا أكلت الساندوتش وتحدثت معي : هل ذلك يعني أنك بدأت تريني بعين مختلفة ؟

أرادت أن تهرب من حرارة يده لكنه شدد قبضته .

- "بن" لاتتظاهر بالحماقة .

- أنا أتظاهر بالحماقة ؟

كان صوته المتظاهر بالبراءة مليء بالخداع بينما كانت عيناه عيني نمر يرقب فريسته .

- لا أريد أن أضيع ساندوتشات زبد الفول السوداني على أناس لايحبونني .

www.liilas.com

قالت :

- أحبك كثيرا وأنت تعرف ذلك .

- نعم لكن المشكلة هي معرفة إلى أي حد .

اقترب منها ، غرقت "راشيل" في عينيه الزرقاوين . شعرت بملمس جلده واستنشقت عطره واحتوتها قوة عناقه . لكن كلا ، لم يكن ذلك إلا ذكريات . أو رغبات .

- هل تحبينني أكثر من عصير الأناناس ؟

- ماذا ؟

- أكثر من عصير التفاح ؟ أكثر من البطاطس في الفرن ؟ أكثر من الذرة المشوي ؟

قالت :

- لست متأكدة من الأخير .

قال وهو يقبل يدها بشكل مسرحي :

- آه ، الذرة المشوي ! هاهو منافس إذن !

والآن وقد عرفت العدو ، إنني أعلن التحدي .

- لن تكون المهمة سهلة . "أيوا" منتج كبير للذرة .

- عندي قدرات هائلة .

كانت "راشيل" واثقة بقدراته وآثارها عليها .

وهنت ساقاها ، خفق قلبها بشدة . ترك يدها وطبع قبلة على شفتيها .

- ماذا لو قمنا بجولة عند النافورة هذا المساء ؟

رجعت إلى الوراء خطوة هاربة من سحره الذي سلب عقلها .

- سيفوتك ميعادك . سنتقابل مؤخرا .

قال وهو يبتعد :

- إنه شيء محزن .

دخلت "راشيل" المنزل . عندما هدأ قلبها ساعدت والدتها في تنظيف خزانة المطبخ . لم تتح لها الفرصة لتتحدث مع ابنتها إلا عندما نزلتا

إلى البدروم حيث الغسالة الكهربائية .

سألتها "راشيل" وهي تضع قميص والدها في كومة الملابس البيضاء :

- أشعر أنك بدأت تتوافقين مع "بن" ، هل استمتعت بقوتك اليوم ؟

- قال لي جدي : أن أتحلى بالأدب .

قالت "راشيل" وهي تضع مفارش الطاولة في الغسالة :

- هل هناك أقسى من ذلك ؟ إن "بن" رجل اجتماعي بالفعل.

لم تجب "لورا" ، منشغلة بقياس كمية الغسيل .

- ماذا لو أردت إعطاءه فرصة ، إني واثقة بأنك ستنتهين بحبه كثيرا .

- أمي ، لقد وعدت أن أكون مؤدبة ، لاتطلبي مني أكثر من ذلك لن أحب أبدا هذا الرجل .

سكبت سائل التنظيف الأزرق في الغسالة وأدارتها "راشيل" .

- لماذا ؟ ماالذي لايعجبك فيه ؟

أجابت "لورا" دون أن تنظر إلى أمها :

- لست أدري . لا أثق به . إنه يتظاهر بحب الناس وهذه ليست الحقيقة : إنه يطردهم من أماكنهم ويسبب لهم الألم ، ولايتأثر بذلك.

أمسكت راشيل بكتفي ابنتها كما لو كانت تريد أن تحصل على كل انتباهها .

- الذي تقولينه ليس صحيحا . "بن" لم يطرد جدك. إنه مجلس إدارة الجامعة الذي أحاله إلى المعاش ثم عين "بن". إنهما حدثان متفارقان . ليس لـ"بن" يد في شيء ، وأنت مخطئة في قولك : إنه لايتأثر بذلك . إنه يعرف كم يصعب الأمر على جدك .

صاحت "لورا" وهي تتخلص من يدي والدتها :

- لكن يا أمي أنت لا تدركين .

قالت "لورا":

- لا ، أنا لا أدرك ؟!

www.liilas.com

قالت :

- أحبك كثيرا وأنت تعرف ذلك .

- نعم لكن المشكلة هي معرفة إلى أي حد .

اقترب منها ، غرقت "راشيل" في عينيه الزرقاوين . شعرت بملمس جلده واستنشقت عطره واحتوتها قوة عناقه . لكن كلا ، لم يكن ذلك إلا ذكريات . أو رغبات .

- هل تحبينني أكثر من عصير الأناناس ؟

- ماذا ؟

- أكثر من عصير التفاح ؟ أكثر من البطاطس في الفرن ؟ أكثر من الذرة المشوي ؟

قالت :

- لست متأكدة من الأخير .

قال وهو يقبل يدها بشكل مسرحي :

- آه ، الذرة المشوي ! هاهو منافس إذن !

والآن وقد عرفت العدو ، إنني أعلن التحدي .

- لن تكون المهمة سهلة . "أيوا" منتج كبير للذرة .

- عندي قدرات هائلة .

كانت "راشيل" واثقة بقدراته وآثارها عليها .

وهنت ساقاها ، خفق قلبها بشدة . ترك يدها وطبع قبلة على شفتيها .

- ماذا لو قمنا بجولة عند النافورة هذا المساء ؟

رجعت إلى الوراء خطوة هاربة من سحره الذي سلب عقلها .

- سيفوتك ميعادك . سنتقابل مؤخرا .

قال وهو يبتعد :

- إنه شيء محزن .

دخلت "راشيل" المنزل . عندما هدأ قلبها ساعدت والدتها في تنظيف خزانة المطبخ . لم تتح لها الفرصة لتتحدث مع ابنتها إلا عندما نزلتا

إلى البدروم حيث الغسالة الكهربائية .

سألتها "راشيل" وهي تضع قميص والدها في كومة الملابس البيضاء :

- أشعر أنك بدأت تتوافقين مع "بن" ، هل استمتعت بقوتك اليوم ؟

- قال لي جدي : أن أتحلى بالأدب .

قالت "راشيل" وهي تضع مفارش الطاولة في الغسالة :

- هل هناك أقسى من ذلك ؟ إن "بن" رجل اجتماعي بالفعل.

لم تجب "لورا" ، منشغلة بقياس كمية الغسيل .

- ماذا لو أردت إعطاءه فرصة ، إني واثقة بأنك ستنتهين بحبه كثيرا .

- أمي ، لقد وعدت أن أكون مؤدبة ، لاتطلبي مني أكثر من ذلك لن أحب أبدا هذا الرجل .

سكبت سائل التنظيف الأزرق في الغسالة وأدارتها "راشيل" .

- لماذا ؟ ماالذي لايعجبك فيه ؟

أجابت "لورا" دون أن تنظر إلى أمها :

- لست أدري . لا أثق به . إنه يتظاهر بحب الناس وهذه ليست الحقيقة : إنه يطردهم من أماكنهم ويسبب لهم الألم ، ولايتأثر بذلك.

أمسكت راشيل بكتفي ابنتها كما لو كانت تريد أن تحصل على كل انتباهها .

- الذي تقولينه ليس صحيحا . "بن" لم يطرد جدك. إنه مجلس إدارة الجامعة الذي أحاله إلى المعاش ثم عين "بن". إنهما حدثان متفارقان . ليس لـ"بن" يد في شيء ، وأنت مخطئة في قولك : إنه لايتأثر بذلك . إنه يعرف كم يصعب الأمر على جدك .

صاحت "لورا" وهي تتخلص من يدي والدتها :

- لكن يا أمي أنت لا تدركين .

قالت "لورا":

- لا ، أنا لا أدرك ؟!

www.liilas.com

قرأت "راشيل" على وجه ابنتها نفس السخط أمام الظلم الذي كان يثير "بن" في الماضي . هل ورثت هذه الصفة عن أبيها ؟

نادت "جيسيكا" من أعلى السلم :

- لورا ، "ميج فورستر" تطلبك .

رفعت "لورا" عينيها ، لم تكن سوى طفلة جريحة وحائرة .

مسحت "راشيل" بيدها على شعرها .

- أنت وجدك تحتاجان فقط بعض الوقت . هيا اذهبي لتمرحي الآن.

الفصل التاسع

مساء اليوم التالي ، مر "بن" بعد العشاء .

- ماذا لو وافقتما أنتما الاثنان على الذهاب إلى السينما ؟

صعدت "راشيل" الطابق العلوي لتقترح على "لورا" هذا العرض.

قالت الفتاة المراهقة وهي تكبح تثاؤبا مصطنعا :

- إني متعبة يا أمي ، أريد أن أنام مبكرا .

كانت هذه هي المرة الأولى التي تسمع فيها "راشيل" ابنتها تريد النوم مبكرا . كانت تستطيع أن تأمر "لورا" أو تجبرها لكن لن يزيد ذلك إلا من كراهيتها . نزلت "راشيل" إلى "بن" وهي تتساءل: إذا كانت محقة في استخدام الصبر مع ابنتها أم لا ؟

على الرغم من مدى سعادتها بالخروج مع "بن" إلا أنها لم تحتمل أن تترك ابنتها في هذه الحالة النفسية .

قالت وهما يسيران في اتجاه السينما :

- لست أدري . ربما كان علي أن أبقى أنا الأخرى ..

- فيم ينفع ذلك ؟ هل سيزداد حبها لي ؟

- لقد مر كل شيء بسرعة . أن أخرج معك كل أسبوع مرة شيء أما

www.liilas.com

أن أرات كل يوم فذلك شيء آخر . ربما علي أن أقضي فيها وقتا أكثر مما أقضيه معك .

- راشيل" ، أنتما تعيشان معا منذ مولدها ، كماتقضين معظم النهار معها . ولا أرى ماالذي سيغيره في الأمر بضع ساعات .

- ربما تشعر بأني أتخلى عنها .

عبرا حيا سكنيا . كان الناس جالسين في الشرفات مستمتعين بدفء المساء . أطفال يلعبون بالبلونات وآخرون يركبون الدراجات. عندما كانت "لورا" في هذه السن ، منذ ثلاث سنوات تقريبا ، لم يكن هناك من يلعب معها . كانت "راشيل" تعمل كثيرا وتتابع المحاضرات المسائية .

قال "بن" فجأة منتزعا إياها من التفكير :

- الوقت ليس مادة غير قابلة للنفاد. عندما كنا أطفالا ، كان أمامنا وقت فسيح . لم نكتشف كم هو ثمين . الآن ليس أمامنا سوى بضعة الأسابيع قبل أن تعودي إلى "سانت لويس". إنه وقت قصير لنعاود تعارفنا .

للمرة الأولى تجرأت "راشيل" وتركت أفكارها تعبر عن نفسها سألته:

- لكن لماذا ؟ لقد أخذت حياتنا طريقين مختلفين . لماذا كل هذه العجلة في تجديد أواصر صداقة قديمة منذ خمسة عشر عاما ؟

- لقد تقاسمنا ماهو أكثر من مجرد الصداقة .

بالتأكيد ، لكن ذكرى ليالي حبهما كانت حلوة - مرة .

كان دائما يتبع النشوة شعور قاس بالوحدة. لم يكن لدى "راشيل" أي رغبة في تجديد هذه التجربة .

قالت بصوت مهتز :

- أعتقد أن "إيجل بوينت" بعيدة .

تركا المنطقة السكنية والدفء العائلي الذي شاع في شوارعها ودخلا منطقة الأعمال التي كانت أكثر كآبة وبردا .

أمسك "بن" بيدها مجبرا إياها على التوقف ونظر في عينيها .

قال :

- أنا لا أتحدث فقط عن ذلك . أتحدث عن مشاعرنا . كنت أتخيل أن بيننا شيئا خاصا وأن هذه اللحظات تستحق أن نعيشها من جديد .

هل أخطأت ؟

- كلا . لكن مستحيل أن نعيش الماضي .

- أنا لا أفكر في حياة وهمية . لكن بعد ماعشناه معا ، من الطبيعي أن أرغب في معرفة أي امرأة أصبحت . ربما سيبدأ ذلك بصداقة بسيطة وربما بما هو أكثر من ذلك . لماذا لانجرب هذه الفرصة ؟

- أوه ، "بن" .

لم يكن يعرف ماقد يجلب عليهما ذلك ، لكن هل يستطيع أن تقول له - بكل صراحة - : إنها لاتريد رؤيته من جديد ؟

أمسك "بن" يدها وطبع قبلة على كفها . حبست "راشيل" أنفاسها . رمقها بنظرة طردت عنها شكوكها ومخاوفها .

همس وهو يضمها إليه :

- أوه "راشيل" .

راحا في عناق طويل أحيا نشوة طالما نهلا منها أيام سعادتهما.

حتى أعادهما إلى الواقع صوت محرك سيارة . ابتعدا لكن لم تفترق عيناهما .

همس مبتسما :

- أعتقد إذن أن الأمر يستحق التجربة .

استأنفا طريقهما صوب السينما .. يدها في يده . شعرت "راشيل" بحمى الحب تعتريها .

صعدت "راشيل" إلى المركب وهي تشعر به يتأرجح تحت قدميها. قالت لـ"بن" وهي تمسك يده بشدة :

- هل تعرف ، عندما كنت طفلة ، كنت أجد هذا المطعم أجمل مايمكن تخيله . (جالت ببصرها على ظهر هذا المركب الصغير) كنت أريد دائما أن أحتفل بعيد ميلادي هنا ، لكن كان والدي يقول دائما : إنه ليس مكانا للأطفال .

على أية حال ، لم يكن يقام هنا إلا الحفلات الخاصة.

همس "بن" بينما تقدم "المتردوتيل" ليستقبلهما .

- هذا هو الحال دائما .

- أهلا بكما على ظهر مركب "دلتا دريم" . لجنة الاستقبال تقدم لكما

www.liilas.com

عصيرا . سترحل عن الرصيف خلال نصف ساعة. سيقدم العشاء بعد قليل . ثم سيكون هناك وقت للرقص .

قال "بن" وهو يحييه بإشارة من رأسه :

- برنامج رائع .

امسك ذراع السيدة الشابة وقادها داخل المركب .

رددت "راشيل":

- لجنة الاستقبال ؟ ماهذه القصة ؟

- لاشيء . لاشيء . كنت أعرف أن ذلك سيروق لك. تصرفت إذن للحصول على تذكرتين للرحلة النهرية هذا المساء .

سألته وهي تنظر إلى زوجين مسنين يتبعانهما :

- من يقيم الحفل ؟

أجابها وهو يصعد إلى الطابق العلوي :

- لا أتذكر جيدا . اجتماع طلبة قدامى .

شد انتباه "راشيل" زوجان مسنان آخران .

- "بن" . ليس لنا مكان هنا .

- بالتأكيد لنا . معنا تذاكرنا . لم يقبل كل الطلاب القدامى الدعوة ، في هذه الحالة عرضوا تذاكرهم للبيع .

كان المشرب في الطابق العلوي . أعلاه معلق شريط ملون يرحب بالطلاب القدامى دفعة عام ١٩٤٧ . لاحظت "راشيل" أن هناك من ينتظرهما بالفعل : قدم لهما كارتا كتب عليه اسماهما ورقم الطاولة المخصصة لهما .

قال أحد أعضاء لجنة الاستقبال مازحا وهو يقدم لهما العصير:

- تبدوان محافظين على صحتكما في مثل سنكما . هل أنتما حقا من نفس دفعتنا ؟

أجاب "بن" :

- ربما يكون والدانا .

قهقه مضيفهما .

قال بنظرة مرحبة :

- اوه ، فهمت . انت تامل أن يذوب قلب هذه السيدة الساحرة حبا

بفعل القمر ودقات "الڤالس" تحت النجوم الساطعة ، أليس كذلك ؟

تورد "راشيل" ليس بسبب تلميحات الرجل ، إنما لأنها كانت تعرف أن "بن" قد اسر قلبها بالفعل .

قال "بن" :

- كنت أعرف عندما اشتريت هذه التذاكر أن النجاح مضمون .

- أوه ، لاتنخدع . نحن لانقدم إلا الديكور . عليك تولي ماتبقى من عمل .

أجاب "بن" وعيناه مثبتتان على "راشيل":

- سابذل قصارى جهدي .

- لقد تأثرت بالفعل .

بدا صوتها الرقيق عائما وسط النسيم العليل .

- انتظري أنت لم تشاهدي كل شيء . في نهاية هذه السهرة لن نحتاج إلى النافورة السحرية .

ذهبا ليقفا عند درابزين المركب ليشاهدا الاستعدادات النهائية للحفل. كان شاطئ مدينة "ديبيك" المتلألئ يبعد . لم تنظر "راشيل" إلى هذا المشهد إلا بعينين شاردتين . لقد كان ذهنها في مكان آخر .

إنها عادت إلى "ديبيك" منذ عشرة أيام فقط . ولم تتحقق إلا بالأمس ، كم تحب "بن" . الوقت يسحبها إلى دوامة تصيبها بالدوار .

لم يعد هناك إلا "بن" ، والحلقة السحرية ، ومع ذلك لم تمر النشوة التي تشعر بها هذا المساء بدون وخزة ندم وقلق . كيف تشرك "لورا" في هذه السعادة ؟ لا تحتاج ابنتها إلا لبعض الوقت وبعض الفهم كما يعتقد "بن" ؟

هل بهذه السهولة سيمحو الآلام الماضي ؟

قال "بن" :

- أعتقد أنه يجب أن نجلس إلى طاولتنا .

مد إليها ذراعه ونزلا إلى الطابق السفلي .

وجدا بسهولة المكان المحجوز لهما على طرف طاولة لثمانية أشخاص لم يتأخر الزوجان المسنان الجالسان إلى جوارهما في بدء الحديث معهما .

www.liilas.com

قالت السيدة :

- لقد كنا يمامتين وديعتين في المدرسة الثانوية ثم فرقتنا الحياة.

أكد زوجها :

- لكن لن يحدث هذا مرة أخرى . حالفنا الحظ في أن نتلاقى والآن لن نفترق أبدا .

همس "بن" في أذن "راشيل":

- في الحقيقة هذا وفاء .

في نهاية العشاء كان القمر ساطعا في سماء تتلألأ بالنجوم وضوءه منعكس على صفحة المياه . كانت الفرقة الموسيقية تعزف لحنا هادئا لم يتأخر "بن" و"راشيل" في اللحاق بالراقصين على حلبة الرقص .

- يخيل إلي أننا في عيد رأس السنة . عيد مليء بالدفء والسحر.

همس "بن" :

- لم يبد لي عيد رأس السنة أكثر عذوبة وجمالا مثل الأسبوع الذي قضيته معك .

استسلمت لقبضة ذراعيه . كان الليل ملكهما ، ليلة غنية بالوعود التي لن تتأخر في الوفاء بها .

رقصا طويلا ، يغلفهما النسيم العليل والنغمات العذبة التي تعزفها الفرقة الموسيقية .

بين ذراعي "بن" تبدو الحياة بسيطة جدا. ابتسامته المشرقة يمكنها أن تحل كل المشكلات ، ولاتترك إلا سعادة غامرة .

عندما توقفت الفرقة الموسيقية عن العزف ، توجه الأزواج نحو طاولاتهم أو ذهبوا يصافحون أصدقاءهم القدامى .

صعد "بن" و"راشيل" إلى الطابق العلوي وتركا المشرب المزدحم بالناس ولاذا بمؤخرة المركب .

كان المكان هناك مظلما . كان هناك زوجان متعانقان .

استند "بن" و"راشيل" إلى الدرابزين وشاهدا المركب وهو يفلق الماء فتتلألأ حباته كحبات الماس .

بينما كانا يتاملان هذا المشهد وهما مفتونان به، غير المركب مساره متخذا طريق العودة إلى الرصيف.

تنهدت "راشيل" في حزن :

- لقد انتهى نصف الرحلة بالفعل .

ودت السيدة الشابة لو أطالت هذه السهرة العذبة إلى الأبد .

قال "بن" :

- لكن مازال لدينا نصفها . الذي ربما لاينتهي أبدا .

أخذها بين ذراعيه وقبلها بحنان . وكأن الأرض قد توقفت عن الدوران . النجوم ، القمر وحتى الشمس قد فقد بريقها رونقه أمام حبهما . كيف لها أن تتخيل الحياة بدونه؟ بدون ابتسامته ، عينيه ، وشفتيه ؟

كان الليل، كان الصيف . كان الأمس، ولكنه كان اليوم .

شعرت "راشيل" بانها قد غرقت في بحر عشق ليس له قرار إنها تشعر باحتياجها لـ"بن" أكثر من أي وقت مضى . أرادت أن تترك الحرية لسعادتها التي تملأ قلبها .

همس "بن" يسألها :

- هل تريدين السباحة معي في النافورة هذا المساء ؟

- النافورة ؟ أي نافورة ؟(أسندت رأسها فوق صدره لتسمع خفقات قلبه) لابد أننا سبحنا فيها في وقت سابق .

قال وهو يقبلها مرة أخرى :

- ربما .

وأخير جمع الحب بينهما .

www.liilas.com

الفصل العاشر

في العصر سأل والد "راشيل" :

- هل ستخرجين معه هذا المساء أيضا ؟

مر أسبوع منذ عشائهما في "تيمرمانز" ، وخمسة أيام منذ أن عرفت "راشيل" أنها مازالت تحب "بن" ، وأربعة أيام منذ أن توقفت أخيرا عن القلق بشأن المستقبل . يجب تقبل الأمور كما تأتي إلينا.

أجابت وهي تتبع دور الشطرنج بين "لورا" وأبيها :

- يجب أن يأتي "بن" خلال دقيقة أو دقيقتين .

إذا كان "بن" و"راشيل" قد تقاربا أكثر من ذي قبل في الأيام الأخيرة فلم يحدث أي تطور في العلاقة بين البروفيسور "هيلي" وبين والدها . كل يوم يأتي "بن" ويقدم له خطابا يدعوه أن يقابله ، ويتجاهل "روبرت ديبرس" هذا الخطاب ببراعة .

- سنذهب إلى المهرجان الموسيقي في "نيويورك جلاروس" .

قالت "لورا" :

- قال جدي: إنه سيكون هناك عاصفة .

نظرت "راشيل" عبر النافذة . كانت السماء صافية ، والشمس

مشرقة.

قالت :

- أتمنى أن تتحلى الأمطار باللياقة وتنتظر حتى الغد .

أجاب والدها كما لو كان الأمر ثارا شخصيا :

- لا .

لاحظت السيدة الشابة هذا التوتر . لكنها كانت قد قررت ألا تنساق وراء أي مناقشات .

قالت بصوت لامبال :

- سنأخذ مظلات .

قال "روبرت" :

- لن تكون ذات فائدة كبرى في ظل الأمطار الشديدة المنهمرة .

- من الأفضل أن تبقي في البيت يا أمي .

كانت عداوتهم لـ"بن" قاسية . كانت "راشيل" مغرمة به بشدة في حين تشعر ابنتها بالغثيان لمجرد ذكر اسمه. في كل مساء يدعوان الفتاة المراهقة للانضمام إليهما وكانت ترفض دائما .

دقت القطع الخشبية فوق طاولة الشطرنج .

صاح والد "راشيل" :

- آه ! أعتقد أنني نلت منك هذه المرة ياعزيزتي .

أجابت :

- لاطائل من ذلك ، تعرف أنني لم أتابع الدور جيدا .

لمحت "راشيل" "بن" متجها إلى مدخل المنزل .

قالت :

- هاهو . هل أنت متأكدة من أنك لاتريدين الذهاب معنا يا"لورا" . الوقت ليس متأخرا حتى تغيري رأيك .

نهضت لتأخذ الصديري وحقيبة يدها .

أجابت :

- أنا متأكدة تماما، لدي أنا وجدي العديد من المشروعات لهذا المساء.

قال "روبرت" دهشا :

www.liilas.com

- آه نعم ؟ لا أعتقد أنك تجدين الشطرنج والتليفزيون أكثر متعة من مهرجان موسيقي في الهواء الطلق .

- أعشق الشطرنج .

- أنا أيضا لكن كنت سابحث عن وقت آخر لألعب فيه ، إذا كانت لدي فرصة الذهاب إلى المهرجان مع أمك والبروفيسور "هيلي" .

لم تفهم "راشيل" تصرف والدها . إلى أي شيء يريد أن يصل ؟

قالت :

- حسنا ، استمتعا بوقتيكما ساعود متأخرة .

- "راشيل" .

توقفت على عتبة الباب إثر نداء والدها . انتظرت في قلق ماسيقوله.

- أعتقد أن من الواجب أن تدعي البروفيسور "هيلي" على العشاء مساء غد . هناك العديد من الأمور التي يجب مناقشتها معه قبل رحيلي .

وقفت "راشيل" دهشة .

قالت :

- أبي .

قالت "لورا" معترضة .

- جدي .

دق جرس الباب . عندما رأت والدها يضع قطعة الشطرنج بهدوء على الطاولة ، أدركت "راشيل" أنه لن يفسر أكثر من ذلك . تغير رأيه .

- شكرا يا أبي .

عادت وقبلته فوق خده قبل أن تسرع على السلالم لتستقبل "بن".

مضت الساعتان التي تفضلهما عن المهرجان الموسيقي كلمح البصر.

سعد "بن" و"راشيل" بوجودهما معا وتبادلا النظرات الحانية . كان الجمع غفيرا في المنتزه، لكنهما وجدا - دون عناء - مكانا تحت شجرة بلوط ضخمة . فرش "بن" على الحشائش الغطاء الذي أحضره بينما كان الفريق الأول يجهز أدواته . ثم أخرج محتويات الحقيبة ، مبتدئا

بالعصائر .

سألته راشيل وهو يفتح زجاجة العصير :

- كيف خمنت تغير رأي والدي المفاجئ ؟

- من قال : إننا نحتفل بهذا ؟ أن نكون معا في هذا المكان ، ألا يستحق ذلك أن نشرب نخبه ؟

قالت وعيناها ضاحكتان:

- لم لا حقا ؟

استلقيا في الغروب ، تناولا الجبن والجمبري وشربا العصائر والموسيقى تغلفهما . تحدثا قليلا وأعادا اكتشاف سحر مراهقتهما . شيئا فشيئا . حجبت سحابة كثيفة النجوم . لكن كانت الأمطار لطيفة معهما وانتظرت حتى نهاية الحفل . وفي نهاية أغنية من الفولكلور الألماني أسرع المشاركون في الحفل يجمعون أغراضهم ويتوجهون إلى سياراتهم بينما تحولت قطرات المطر الصغيرة إلى سيول .

ابتل "بن" و"راشيل" حتى عظامهما . حتى استطاعا أن يحتميا في السيارة .

قالت "راشيل" :

- كان والدي على صواب ولم أصدقه .

- قليل من المطر لن يضر .

بدت قطرات المطر اللامعة خلف زجاج السيارة وكأنها تفصلهما عن العالم الخارجي . وفجأة ومضت فوانيس سيارة أخرى ودق نفير بدون انقطاع .

قال "بن":

- أعتقد أننا نضايق هذه السيارة . هيا بنا .

أدار المحرك وسار وراء جمع السيارات المتجهة إلى الطريق الرئيسي. لكن بسبب زحمة السيارات والأمطار ، كان يتحرك ببطء. في ساعة ، كان قد قطعا بمشقة عشرين كيلو مترا . كانت "راشيل" تثق بقيادة "بن" لكنها كانت تخشى السيارات التي تحيط به ، تظهر من أي جهة ثم تختفي في ظلمات العاصفة .

قال "بن" :

www.liilas.com

- أعتقد أنه لابد أن نتوقف . سنحاول إيجاد مكان نحتمي فيه قدحا من القهوة في انتظار توقف الأمطار .

لكن كانت المطاعم نادرة في هذه المنطقة والمطاعم التي مرا عليها كانت مغلقة . وأخيرا لمحا ضوء فلورسنت "من بعيد . كان ضوء "موتيل" .

قال "بن" :

- لم يكن ذلك ما أريد ، إلا أنه سيفي بالغرض . لن أتقدم خطوة في ظل هذه الأمطار مهما كان رد فعل والدك .

أجابت "راشيل" بثقة وهي بعيدة كل البعد عن إثباتها :

- سيفهم أبي . سيكون خطيرا أن نواصل الطريق .

توقف "بن" أمام "الموتيل" وأسرع إلى الداخل . تحت الأمطار الغزيرة . تمكنت السيدة الشابة بجهد أن تقرأ اسم "الموتيل" .

من المستحيل الوصول إلى "ديبيك" في مثل هذا الجو .

أفزعتها دقات صغيرة على زجاج السيارة . "بن" ، وجهه يسيل منه الماء ، يشير إليها أن تنزل الزجاج .

قال :

- لم يتبق لديهم إلا غرفة واحدة . ليس أمامك إلا النزول بها ، سأنام في السيارة .

- لاتتفوه بالحماقات . املأ الاستمارات ولتسرع حتى نحتمي من الأمطار .

بقي صامتا .

- اذهب واحجز حجرتنا يا"بن" (أغلقت زجاج السيارة).

تمتمت :

- آه من الرجال .

كانت ملابسها مبتلة . لحق بها "بن" في السيارة . مازال صامتا . لم يتحدثا حتى توقف "بن" أمام حجرتهما .

قال :

- سأدخل أولا .

لم تكن الغرفة عملية تماما : سرير لفردين ، مكتب ، طاولة للزينة .

لايمكن فعل أي شيء بها سوى النوم .

قال "بن":

- ساضع غطائي هنا في هذا الركن واستخدم ملاءة السرير ك.....

- هل ستحتفظ طويلا بهذه الملابس المبللة ؟ ستصاب بالتهاب رئوي .

- كنت أحاول فقط ترتيب أوضاع هذه الليلة . هذا التوقف لم يكن محتملا في برنامجنا . لم أردك أن تعتقدي ...

- ستخلع هذه الملابس ، أليس كذلك ؟

كانا بمفردهما في هذه الغرفة، وهاهو "بن" يلعب دور الفارس المحلى بالشرف والعفاف .

قالت :

- أمامك ثلاث ثوان حتى تخلع ملابسك وتتوجه تحت الدش وإلا مزقتها .

وبدأت في العد .

- واحد ...

تحداها .

- اثنان .

تردد برهة ثم دخل الحمام وأغلق الباب وراءه . سعدت "راشيل" كثيرا باستعراض سلطتها . جففت قطرات المطر التي مازالت تبلل وجهها ثم أمسكت سماعة التليفون . طلبت والديها .

أجاب عليها والدها :

- أبي لقد فاجاتنا العاصفة ولن نعود قبل صباح غد .

- لقد أخبرتك أنها ستمطر .

- أعرف . منذ اليوم ساتعلم أن أسمع كلامك .

- أفضل أن تعودي غدا سالمة خيرا من أن تتخبطي الآن في ظل هذا الجو السيئ . ابقي إذن في مخبئك .

- لا تقلق . قبل أمي و"لورا" .

وضعت سماعة التليفون . كان هناك من يدق الباب.

صاح صوت .

www.liilas.com

- منشفات .

ذهبت "راشيل" تفتح الباب . وجدت أمامها امرأة ترتدي معطفا طويلا . أصفر .

قالت :

- أحضرت لكما منشفات إضافية .

قالت "راشيل" وهي تتسلمها :

- شكرا .

- أحضرت لكما أيضا شيئا بسيطا لتأكلاه .

مدت إلى "راشيل" صينية عليها نصف تارت (فطيرة) الكريز ، طبقان، شوكتان ، قدحان ، وكيسا قهوة فورية .

- يمكنك تسخين الماء في الحمام .

قالت "راشيل" وهي تغلق الباب :

- شكرا جزيلا .

وضعت الصينية على الطاولة وأخرجت المنشفة من الكيس البلاستيك .

- "بن" هل تريد منشفة ؟

- الباب مفتوح .

لم تكن هذه هي الإجابة التي تنتظرها .

- ساتركها على الأرض أمام الباب.

تظاهرت بأنها لم تسمع القهقهة التي تصاعدت من الحمام وذهبت لتجلس فوق السرير. شعرت بالاضطراب يسري في أوصالها . كيف تسكت هذا الشعور ؟

توجهت "راشيل" صوب النافذة لكن منعتها الأمطار والظلام من الرؤية . سمعت باب الحمام يفتح خلفها . خفق قلبها بشدة عندما شعرت بوجوده خلفها تماما .

قالت وهي تتجنب النظر إلى "بن" :

- ساخذ دشا بدوري .

مضت أمامه حابسة أنفاسها ولاذت بالجزء الخاص بالحمام .

صاحت وهي تغلق الباب :

- لاتاكل كل التارت (الفطير) .

أرادت السيدة الشابة أن تاخذ حماما طويلا حتى تسترخي وتستعيد صفاء ذهنها . لم تعد فتاة مراهقة وغير مسؤولة .

يمكنها أن تقضي ليلة بين ذراعي رجل دون أن تهتم بالعواقب ، ولكن بينما كانت تحاول إقناع نفسها بذلك . لم يكف ذهنها عن التفكير في دفء أحضان "بن" .

انتهت من الحمام ولبست بشكيرا . وبعد نفس عميق بغرض استمرار الشجاعة ، خرجت إلى الغرفة .

تاملها "بن" من راسها حتى قدميها حتى شعرت انها تنصهر تحت نظراته الفاحصة . اقترب ببطء .

قال :

- حسنا ، ساعد القهوة ، واهتمي أنت بالمائدة .

أشار إلى الصينية التي وضعها على المقعد بالقرب من السرير.

قال مازحا :

- أنت تقطعين التارت لكني أنا أختار أولا .

قطعت "راشيل" التارت إلى جزءين متساويين ووضعتهما في الطبقين . عاد "بن" ومعه القهوة . جلس على الأرض .

ردد :

- لم يكن ذلك محتملا في برنامجنا .

- أعرف . لكن بما أننا احتجزنا لنتخطى السوء بالصبر ...

قال "بن" :

- أزيلي عنك التوتر .

أكلا في صمت وجبتهما الخفيفة ثم ارتشفا القهوة .

قال "بن" فجاة :

- كنت أفكر فيك كثيرا .

- ماذا ؟

- أقصد قبل أن أقدم إلى "ديبيك" . كنت أسأل نفسي عما أصبحت .

كانت بمثابة دعوة لتكشف له عن الحقيقة . صاح صوت داخل "راشيل" " قولي له : إن له طفلة " لكن أبى لسانها أن ينطق.

www.liilas.com

اكتفت بأن قالت :

- افتقدك أنا ايضا كثيرا .

قال "بن" :

- السيول تنهمر بالخارج .

- نعم ، لقد حالفنا الحظ أن وجدنا هذا المكان .

تلاقت نظراتهما . كانت عينا "بن" محملة بالوعود : الحب ، والوفاء، والحنان . ومع ذلك كانت "راشيل" تخشى أن تسلم نفسها له ، فجراح الماضي لم تندمل بعد . لكنها لم تتمكن من أن تهرب ، ولم تتمكن أن تختبئ . لقد كان "بن" قدرها وحياتها .

همست : "بن" .

كيف لاتستطيع أن تحب هذا الرجل الذي تصل أقل همسة من بين شفتيه إلى أعماق قلبها ؟

الحب فقط هو مايهم . صوت قلبها غلب نداء عقلها :

شعرت "راشيل" أن "بن" سيكون دائما جزءا من حياتها .وجزءا منها .

اختلطت الأزمنة في رأسها . امتزج صوت المطر المتلاحق على زجاج النافذة بصوت حفيف الأشجار في "إيجل بوينت" .

همس "بن" :

- أوه يا حبيبتي .

تنهدت :

- أوه يا "بن" كم أفتقدتك .

قال :

- كم أحبك .

استيقظت "راشيل" وعندما فتحت عينيها تلاقت نظرتها بعيني حبيبها .

قالت:

- صباح الخير . هل رأينا بعضنا بعضا في مكان ما ؟

قال :

- ربما هل تقاسمنا تارت الكريز ؟

- آه ، أعتقد ذلك أنا ايضا .

قهقه، قهقه الاثنان من فرط سعادتهما أن يستيقظا وهما جنبا لجنب .

قال "بن" وهو متمدد وعيناه مثبتة إلى السقف :

- هل تعرفين ، أعتقد أنها معجزة أن نتلاقى من جديد . بعد كل هذه السنوات . تظل مشاعرنا بنفس قوتها ، هذا أمر لايصدق .

قالت "راشيل":

- نحن محظوظان حقا .

نهض .

- لن ندع كل شيء للمصادفة . أحبك يا "راشيل" . لنتزوج .

- نتزوج ؟

خرجت السيدة الشابة من نشوتها . ألم يداعبها دائما حلم الزواج من "بن" ؟ والآن ، عندما عرض عليها الزواج لاتستطيع أن تواجه العقبات التي تواجه إتمامه .

- لست أدري يا "بن" .

جلست على حافة السرير ، أدارت ظهرها إليه . أمسك يدها .

- أنت تحبينني يا "راشيل" أنا واثق بذلك .

لم يكن لديها الشجاعة حتى تبعد عنه أكثر من ذلك .

- نعم ، أحبك . لكن هناك أشياء أخرى تتداخل مع علاقتنا .

- كلا يا "راشيل" ، نحن متحابان وهذا أهم ما في الأمر .

نهضت وهي تومئ برأسها . هذه الليلة الحالمة: ألم تكن سوى وهم؟

- لا . الحب ليس كل شيء. هناك "لورا" ، أبي ، والجامعة .

وثب "بن" ، أمسك كتفيها .

- إذا كنا متحابين حقا ، فسنحل كل المشكلات . أما فيما يختص بـ"لورا" فيكفي أن نمهلها الوقت حتى تتعود على فكرة أن تعيش مع رجل آخر غير أبيها .

شحب وجه "راشيل" : كيف تخرج من هذا الموقف ؟ ولمرة ثانية ، لجأت إلى تطبيق السياسة النمساوية .

قالت في نفسها : إنها تريد أن تشارك "بن" حياته ، تحصل على السعادة التي تراها تتلألأ في عينيه ، هذه السعادة التي عاشتها معه

www.liilas.com

منذ خمسة عشر عاما . لكنها مدينة بالحقيقة لـ"لورا" على الرغم من حبها لـ"بن" . يجب أن تفكر في ابنتها أولا .

- "بن" ، يجب أن أتحدث إلى "لورا" ، لايمكنني أن أقرر على الفور .

أحاطها بذراعيه . لايمكن أن تشعرها ضمته إلا بالأمان ، ولكن كان هناك خوف أكبر منها يسكن قلبها :

الخوف من أن تدمر كل فرص السعادة إذا كشفت عن الحقيقة . قال :

- لايمكنك أن تدعي "لورا" تأخذ القرار عنك في هذا الموضوع.

أجابت وهي تبتعد عنه :

- لم أقل ذلك على الإطلاق . أريد فقط أن أتحدث إليها قبل أن أقول : نعم أو لا. لقد حدث كل شيء بسرعة .

- لقد مرت سنوات طويلة ! ولن يمكننا أن نضيع وقتا أكثر مما مضى .

- أعرف . لكن منذ خمسة عشر عاما ، تركنا العنان لعواطفنا فاضطربت حياتنا . في هذه المرة ، أريد أن أتقدم بخطى محسوبة.

قال وهو يقبلها :

- جميل جدا .

أخذا دشا سريعا وارتديا ملابسهما وركبا السيارة .

الفصل الحادي عشر

عادا في وقت قصير . كيف تجد الكلمات التي تحدث بها "لورا"؟ بعد كل هذه السنوات من الصمت ، لا تعرف "راشيل" من أين تبدأ ؟

أوقف "بن" السيارة أمام منزل أسرتها .

سألها :

- هل تريدين أن أدخل معك ؟

أجابت وهي تومئ برأسها :

- لا . يجب أن أتحدث بمفردي مع "لورا" .

فتحت باب السيارة وتأهبت للنزول عندما أمسك قبضة يدها .

قال :

- لا تنسي أني أحبك .

همست :

- أنا أيضا أحبك .

مال ليقبلها ، يبث فيها أملا وقوة ووعدا بالسعادة .

قالت وهي تنزل من السيارة :

- سنراك هذا المساء على العشاء .

www.liilas.com

عدت السيدة الشابة صوب الشرفة بينما اختفى "بن" في زاوية الشارع . وجدت أمها في المطبخ .

قالت "چيسيكا" وهي ترفع عينيها من فوق كتاب الطهي الذي كانت تتصفحه :

- صباح الخير ياعزيزتي . هل قضيت وقتا سعيدا في المهرجان؟ للأسف أنكما احتجزتما بفعل الأمطار .

قالت " راشيل" شاردة :

- نعم . أين "لورا" ؟

أجابت "چيسيكا" وهي تلقي بنظرة عبر النافذة .

- هنا . في الخارج . نعم ، إني أراها تحت العريش .

أضافت ضاحكة :

- أنكر أنك كنت تقضين كل صيف هناك . من شابه أمه فما ظلم .

أجابت "راشيل" باختصار ثم خرجت إلى الحديقة . كانت "لورا" ممددة على مقعد طويل على بطنها وذقنها فوق ذراعيها المعقودتين كانت تضع نظارة شمسية تغطي انفها تماما . لم تتحرك قيد انملة عندما جاءت والدتها وجلست فوق المقعد المجاور . هل كانت نائمة؟

قالت "لورا" فجاة :

- أنا لست نائمة .

- أوه . حسنا .

ربما كانت تفضل "راشيل" أن تجدها نائمة . من أين تبدأ ؟

كل ثانية تمر تجعل الصمت ثقيلا وتضيف قالبا آخر إلى الحائط الذي يفصل الأم عن ابنتها .

قالت كمقدمة :

- لقد قضينا سهرة رائعة بالأمس .

لكنها سرعان ماتوردت خجلا عندما فكرت فيما حدث بينهما الليلة الماضية .

لم تجب "لورا" ولم تتحرك .

حاولت "راشيل" مرة أخرى لتذيب الثلج الذي بينهما .

- كان أبي وأنت على حق بشان الأمطار .

لم تجد أي رد فعل . كادت "راشيل" أن تيئس . كيف أقيمت كل هذه الفجوة بينها وبين ابنتها في مسافة أسبوعين ؟

- إذا كنت أخذت تحذيرك ماخذ الجد ، كنا سنعود قبل أن تهب العاصفة .

أخيرا أدارت "لورا" رأسها . كانت عيناها مازالتا مختبئتين خلف النظارة لكن شفتيها تكشفان عن عبوسها .

- هيا يا أمي ، لاتخبريني بانك ساذجة . ربما أكون حديثة السن لكني أعرف جيدا مايريد الأولاد .

- وماذا تقصدين من ذلك ؟

جلست "لورا" وإحدى ساقيها منثنية تحتها. نظارتها وشعرها المنسدل على كتفيها يجعلانها تبدو أكثر جدية من أي فتاة في الرابعة عشرة من عمرها .

- أقصد أن الرجال لا يبحثون إلا عن متعتهم . بدون هذه العاصفة القدرية ، كانت سيارة البروفيسور "هيلي" ستقع في عطل.

- ألا تخجلين مما تقولين ! "بن" ليس كذلك !

قالت وهي تميل إليها :

- آه ، لا . اسمعني يا أمي ، أحبك كثيرا لكن لنواجه الأمور . أنت لاتحكمين جيدا فيما يتعلق بالرجال . لقد توقع "ديفيد" ذلك :

كان يخشى ، إذا أصابه مكروه ، أن تقعي في شباك أول قادم ذي لسان معسول .

بدا النقاش يثير غضب "راشيل":

- "بن" ليس ذا لسان معسول ..

- إنه أسوأ من ذلك يا أمي . إنه ياخذ مايريد من الناس ثم يرحل إنه لايعبا بان يضر شخصا ما .

كانت "لورا" تتحدث كسيدة كبيرة . أحدث الألم الذي دوى في صوت "لورا" صدى في قلب "راشيل" التي هزت رأسها برفق .

- "لورا" ، أريدك أن تحبيه . ألا تستطيعين أن تبذلي جهدا ؟

- لا .

تقلبت "لورا" كالحصان الذي يحرف عن بدء السباق . في بدايات

www.liilas.com

مراهقتها تفضل أن تكسر على أن تنحني للعاصفة .لابد أنها ورثت هذا العناد عن جدها .

لو أن "راشيل" توصلت فقط إلى إفهامها ..

قالت :

- "بن" شخص لطيف وحساس . إنه يحبني كثيرا ، يحبنا نحن الاثنين .

قالت "لورا" وهي تنهض :

- أوه يا أمي ، أنت تصدقين دائما مايقال لك كان "ديفيد" معه حق في أن يقلق . أنت تحتاجين لمن يرعاك .

قالت "راشيل" في إصرار دون أن ترفع صوتها :

- لابد أن تعطي "بن" الفرصة . يجب أن تكفي عن عنادك . هذا مهم جدا يا "لورا" . لقد طلبني للزواج .

لم تكن "راشيل"تنوي أن تعلن عن هذا الخبر في مثل هذه الظروف ، لكن لم تبد "لورا" دهشتها .

قالت ضاحكة :

- دون خدع ؟ هل كان ذلك بعد أن حصلت له على موعد مع جدي ؟

- "لورا" ، لا أسمح لك .

نهضت "راشيل" ترتعش من الغضب والحزن .

- أطالبك بالاعتذار .

- الاعتذار ؟ أبدا . على العكس ، سارتب حتى لايتسبب لك في الألم من جديد .

بعد هذه الكلمات ، تركت العريش وهربت وهي تجري صوب المكتبة.

- "لورا" !

نهضت "راشيل" تجري وراءها ثم عدلت عن ذلك فجاة :

لم يكن أمامها أي فرصة لتصل إلى ابنتها . كان عليها أن تنتظر حتى تهدأ وتعود للمنزل .

ترددت كلمات "لورا" القاسية في ذهنها .

فجاة ، تملكها الخوف . لقد وعدت "لورا" الا تدع "بن" يتسبب في ألم "راشيل" من جديد . من جديد ؟ إلى ماذا تشير ؟ كيف عرفت ما حدث

منذ خمسة عشر عاما ؟

جالت "راشيل" ببصرها في الحرم الجامعي لكنها لم تر أي أثر لـ"لورا" . ماذا تفعل ؟ إن "لورا" طفلة فريسة لصراع قد ينتهي بأبعاد درامية . لم يكن من المعقول أن تنتظرها هنا مكتوفة اليدين يجب أن تذهب لتبحث عنها وتجدها بسرعة .

لم يكن أمام "بن" الوقت إلا لكي يحتسي قدحا من القهوة .

ارتدى ملابسه بسرعة كبيرة ثم أسرع إلى مكتبه القابع في المبنى الإداري . كان على موعد مع ثلاثة أعضاء من مجلس الإدارة ، كلهم من مؤيدي البروفيسور "ديبرس" .

بقليل من الحظ سيقنعهم بكفاءته. إن الحظ يواتيه كثيرا هذه الأيام.

لقد وجد "راشيل" من جديد ، لقد وجدا حبهما وربما سيتزوجان. بالنسبة لـ"لورا" ، لن تتاخر في تغيير رأيها عنه .

إنها تعبر فقط مرحلة صعبة . بمجرد أن تتعود على فكرة أن يكون لها أب جديد ، سيمر كل شيء على مايرام .

عندما دفع باب المكتب ، بقي متسمرا من فرط المفاجاة . كانت "لورا" وسكوتيرته تتحدثان بصوت مرتفع .

لمحته "هيلين" أولا .

قالت كأنها تستقبل منقذها :

- أوه ، البروفيسور "هيلي" . هذه الآنسة الصغيرة تصر على مقابلتك . أخبرها أن جدول أعمالك مشغول اليوم .

اكتفى بأن ابتسم إلى "لورا" .

قال :

- إني واثق باننا يمكننا إيجاد وقت لها . لدي بعض الدقائق قبل الاجتماع .

لم تحاول الفتاة أن تبذل أي جهد لتبتسم . كانت تضع نظارة شمسية عاكسة . كانت تبدو هادئة . بالتاكيد ، لم يتوقع "بن" منها أن تقفز وتمسك برقبته عند سماعها بنبا رغبته في الزواج بأمها إلا أنه لم يتوقع منها رد فعل سلبي كهذا .

www.liilas.com

قال وهو يتركها تمر :

- ادخلي إذن إلى مكتبي . (اغلق الباب خلفهما) هل تريدين أي شراب ؟ عصير ليمون ؟ عصير فواكه ؟

- لا ، شكرا .

اخذت مكانا في أحد المقاعد الكبيرة المخصصة للزائرين ، تبعها "بن" وجلس خلف مكتبه .

سألها :

- كيف حالك ؟

أجابت : وعلى الرغم من وضوح العكس .

- بخير ، شكرا .

كانت يداها متيبستين على ذراعي المقعد . ود "بن" لو انها تخلع نظارتها . كان يود أن يرى عينيها بدلا من أن يرى وجهه منعكسا على النظارة .

سألها :

- ماذا أستطيع أن افعله لك ؟

بدا عليها التفكير لحظة قبل أن تتحدث .

- يوم قدومك قالت جدتي : إنك جئت إلى هنا قبل ذلك .

- نعم ، هذا صحيح . لقد قضيت إحدى العطلات الصيفية عند عمي كان عميد الجامعة في هذا الوقت . إنه مثل نائب الرئيس .

أجابت :

- أعرف جيدا ما أعباء وظيفة عميد الجامعة .

- عفوا .

- هل كان ذلك منذ خمسة عشر عاما ؟

تردد "بن" قليلا أمام وجهها العابس .

- نعم ، تقريبا .

- ماذا تعني (تقريبا) ؟ هل كان ذلك منذ خمسة عشر عاما ؟ نعم أم لا؟

بدأ لهجتها تثير "بن" ، لكنه قرر أن يجيب عن أسئلتها بصدق أن يهدئ بقدر الإمكان قلقها حتى إذا كان لايرى جيدا ! إلى ماذا تريد أن تصل ؟! استسلم لعملية حسابية عقلية .

- نعم كان ذلك منذ خمسة عشر عاما . لماذا ؟

- هل .. هل كنت تعرف أمي في ذلك الوقت ؟

رفع كتفيه . ماعلاقة ذلك بزواجهما ؟

- نعم .

- هل فعلتما شيئا معا ؟

- ربما . تعرفين خمسة عشر عاما زمنا طويلا . لاأذكر كل ما فعلناه في ذلك الصيف .

- هل مارستما الحب ؟

هل هذا سؤال تستطيع فتاة أن تطرحه فيما يتعلق بامها ؟

أخذ "بن" يحرك قلمه .

قال :

- بعض الأشياء لا أتذكرها . وأخرى شخصية .

- هناك أشياء شخصية تنتهي بأن تخص أشخاصا آخرين .

مغتاظا ترك "بن" قلمه ورفع عينيه .

- اسمعي يا"لورا" ، أنا لا أرى حقا ..

أخيرا خلعت نظارتها . لم تكن عيناها بنفسجية كما توقع ، كانت عيناها زرقاوين مائلتين للخضرة . هما عينان مليئتان بالدموع تنظران إليه نظرة اتهام .

قال :

- "لورا" ؟

إنه لايفهم شيئا .

لم تستطع أن تفسر له بهدوء. نهضت واستندت بكفيها إلى حافة المكتب .

قالت :

www.liilas.com

- أعرف كل شيء . أعرف كيف تسببت في ألم أمي منذ خمسة عشر عاما . لكني لن أدعك تبدأ ذلك من جديد !

أدهشته عيناها . إنها مالوفة بالنسبة له ، مالوفة جدا .

- "لورا" من فضلك .

حاول أن يفك اشتباك الأفكار المذهلة التي تتدافع في ذهنه .

استطردت :

- أنا التي كانت تحلم بلقائك يوما . كنت أعتقد أنه سيكون أمرا ساحرا إذا استطعنا أن نكون أسرة حقيقية ، لكني كنت مخدوعة .

نهض "بن" ودار حول مكتبه .

- "لورا" عم تتحدثين ؟

- مرة واحدة تكفي . لقد تسبب في آلامها بما يكفي. ارحل واتركنا وشأننا .

تجلت له الحقيقة . فهم أخيرا ثورة "لورا" ، مخاوف "راشيل" ومع ذلك ، لم يستطع أن يصدقها . أمسك بكتفي "لورا" .

- هل أنا والدك .

تملصت من قبضته كأنه كان الشيطان .

- لا ! لم يكن لي أب إلا في سن الرابعة ، عندما تزوجت أمي "ديفيد" . لم يكن لي أحد قبل ذلك . لم يكن لنا أحد .

شعر كأنه تلقى صدمة . تهدجت أنفاسه . لماذا لم تحدثه "راشيل" عن أي شيء ؟ أراد لو أن يأخذ "لورا" بين ذراعيه خشي أن تدفعه عنها مرة أخرى .

- لم أكن أعرف يا "لورا" .

انفرط عقد دموع الفتاة ، وتركت العنان لغضبها .

- كنا نسكن عند إحدى قريباتنا عندما كانت أمي تتابع المحاضرات المسائية . وأنت ، ماذا كنت تفعل عندما كانت تواجه الصعوبات لتربيتي ؟ كان سيدي يذهب إلى الجامعة ويطوف حول العالم ويستمتع بحياته .

- "لورا" يجب أن تصدقيني ، لم أكن أعرف شيئا .

- لقد كتبت لك أمي .

أومأ برأسه .

- لم أكن أعرف . كنت ساعود لو كنت عرفت .

قالت بسخرية :

- هكذا . كان ذلك إذا كنت مازلت تتذكر اسمها.

هذا يكفي . لايمكن إلقاء اللوم كله على "بن" . أمسك كتفي الفتاة من جديد .

- كنت ساعود على الفور . كنت أحب أمك ومازلت أحبها .

أجابت :

- أنت لاتعرف كيف تحب . أنت لا تعرف إلا إيلام الآخرين. تملصت من قبضته وخرجت مسرعة . توقفت "هيلين" عن ضرب الآلة الكاتبة . علا صوت نحيب "لورا" في الردهة ، ثم سدل الصمت أستاره .

بقي "بن" مذهولا . لماذا أخفت "راشيل" عنه ؟ كان عمه يعرف مكانه دائما . كانت تستطيع أن تصل إليه بواسطته . وإذا لم تكن تريد أن تفصح عن الحقيقة منذ خمسة عشر عاما فلماذا لم تقل شيئا اليوم ؟ خلال الأسبوعين الماضيين ، كانت تستطيع أن تجد بسهولة الفرصة إذا أرادت ذلك .

غادر مكتبه . نظرت إليه "هيلين" ، وهو يمر أمامها ، بعينين جاحظتين .

نادته :

- بروفيسور "هيلي" . موعدك مع أعضاء المجلس ! إنهم في انتظارك..

لماذا أخفت عنه "راشيل" الحقيقة ؟ كان لديه الحق منذ خمسة عشر عاما منصرفة ، حق على "لورا" . إنها ابنته .

عبر بخطى واسعة الصالة الرخامية عندما دفعت "راشيل" باب مبنى الإدارة .

www.liilas.com

تنهدت وهي تنظر إليه .

- أوه ، "بن" هل رأيت .. (صمتت . شحب وجهها) جاءت "لورا" لتراك . أليس كذلك ؟

لماذا لم تقل له ؟ أخذ هذا السؤال يتردد في ذهنه إلى مالا نهاية. لكنه تمهل قبل أن يطرحه عليها ، أمهل "راشيل" الفرصة لتفسر كل شيء .

قال :

- كانت هنا منذ لحظات . لقد فجرت قنبلة وهربت .

بدا وجهه بدون أي تعبير فلم تتمكن "راشيل" من قراءة أمله .

- هل قالت أين ذهبت ؟

أشار "لا" برأسه .

نظرت إليه ثم أدارت رأسها نحو الباب . رأت أنها حائرة بين الحديث إليه والمضي في البحث عن "لورا" .

لكنه لم يقل شيئا . كانت "راشيل" قادرة على جمع شملهم هم الثلاثة على أن تكون أسرة ، لكن يجب أن يأتي القرار منها هي.

- "بن" ، يجب أن أجدها إنها ليست إلا طفلة . لقد كانت مضطربة جدا .

- أعرف .

نعم ، لقد عرف . لم تكن "راشيل" بحاجة إليه . لم تكن محتاجة إليه عندما اكتشفت أنها حامل وهي ليست بحاجة إليه الآن لتجد ابنتها . ابنتهما ستتصرف بمفردها كما فعلت دائما .

لم يحاول اللحاق بها عندما اندفعت نحو باب المبنى ، عاد إلى مكتبه بخطى بطيئة . كان هناك شيء آخر يستطيع أن يقدمه لهما قبل أن يختفي من حياتهما ، بما أن هذه هي رغبة "راشيل" .

قال لسكرتيرته :

- اتصلي بـ"جورج ويكرشام" .

أسرعت "راشيل" خطاها وهي تخرج من المبنى الإداري . لقد اتخذت

القرار الوحيد المناسب . إنها مغرمة بـ"بن" حقا إلا أن "لورا" ابنتها أيضا . ومهما فعلت ابنتها ، فقد فعلت ذلك لأنها كانت مضطربة للغاية، وإذا كانت مضطربة فذلك لأن أمها رأت أن من الأفضل تأخير لحظة معرفة الحقيقة .

فتشت "راشيل" في مباني الجامعة كلها ، من المكتبة إلى المعمل العلمي مرورا بملاعب التنس . لم يشاهد الحارس أحدا طوال اليوم. كانت صالة الألعاب مغلقة بالمفتاح . عادت إلى المنزل ، آملة أن تجد "لورا" .

أجابت "چيسيكا" :

- لا ، لم أرها منذ أن كنت معها تحت العريش . ماذا يحدث ياعزيزتي؟

- لقد تناقشنا بحدة . هل تعتقدين أنها دخلت من باب آخر ولم تريها ؟

- ربما .

أخذتا تفتشان في المنزل . لا وجود لـ"لورا" . أسفر بحثهما عن إيقاظ "روبرت" . خرج من غرفته ليعرف ماذا يحدث .

قالت "چيسيكا" مفسرة:

- لقد تناقشت "راشيل" مع ابنتها نقاشا حادا . اختفت "لورا" ، يمكنك أن تعود للنوم ياعزيزي .

لقد نالت "راشيل" مايكفي من هذه الأكاذيب. "لورا" و"بن" يعرفان الحقيقة . قريبا سوف يعرف الجميع الحقيقة .

قالت :

- لقد اكتشفت "لورا" أن "بن" أبوها .

ساد صمت مفزع عليهما. حملق إليها والداها غير مصدقين .

- هل أزعجها ذلك ..

صاح والدها فجأة:

- هل كانت فعلة "هيلي" الشائنة ؟ هذا المتجاسر . هل واتته

www.liilas.com

تنهدت وهي تنظر إليه .

- أوه ، "بن" هل رأيت .. (صمتت . شحب وجهها) جاءت "لورا" لتراك . أليس كذلك ؟

لماذا لم تقل له ؟ أخذ هذا السؤال يتردد في ذهنه إلى مالا نهاية. لكنه تمهل قبل أن يطرحه عليها ، أمهل "راشيل" الفرصة لتفسر كل شيء .

قال :

- كانت هنا منذ لحظات . لقد فجرت قنبلة وهربت .

بدا وجهه بدون أي تعبير فلم تتمكن "راشيل" من قراءة أمله .

- هل قالت أين ذهبت ؟

أشار "لا" برأسه .

نظرت إليه ثم أدارت رأسها نحو الباب . رأت أنها حائرة بين الحديث إليه والمضي في البحث عن "لورا" .

لكنه لم يقل شيئا . كانت "راشيل" قادرة على جمع شملهم هم الثلاثة على أن تكون أسرة ، لكن يجب أن يأتي القرار منها هي.

- "بن" ، يجب أن أجدها إنها ليست إلا طفلة . لقد كانت مضطربة جدا .

- أعرف .

نعم ، لقد عرف . لم تكن "راشيل" بحاجة إليه . لم تكن محتاجة إليه عندما اكتشفت أنها حامل وهي ليست بحاجة إليه الآن لتجد ابنتها . ابنتهما ستتصرف بمفردها كما فعلت دائما .

لم يحاول اللحاق بها عندما اندفعت نحو باب المبنى ، عاد إلى مكتبه بخطى بطيئة . كان هناك شيء آخر يستطيع أن يقدمه لهما قبل أن يختفي من حياتهما ، بما أن هذه هي رغبة "راشيل" .

قال لسكرتيرته :

- اتصلي بـ"جورج ويكرشام" .

أسرعت "راشيل" خطاها وهي تخرج من المبنى الإداري . لقد اتخذت

القرار الوحيد المناسب . إنها مغرمة بـ"بن" حقا إلا أن "لورا" ابنتها أيضا . ومهما فعلت ابنتها ، فقد فعلت ذلك لأنها كانت مضطربة للغاية، وإذا كانت مضطربة فذلك لأن أمها رأت أن من الأفضل تأخير لحظة معرفة الحقيقة .

فتشت "راشيل" في مباني الجامعة كلها ، من المكتبة إلى المعمل العلمي مرورا بملاعب التنس . لم يشاهد الحارس أحدا طوال اليوم. كانت صالة الألعاب مغلقة بالمفتاح . عادت إلى المنزل ، آملة أن تجد "لورا" .

أجابت "چيسيكا" :

- لا ، لم أرها منذ أن كنت معها تحت العريش . ماذا يحدث ياعزيزتي؟

- لقد تناقشنا بحدة . هل تعتقدين أنها دخلت من باب آخر ولم تريها ؟

- ربما .

أخذتا تفتشان في المنزل . لا وجود لـ"لورا" . أسفر بحثهما عن إيقاظ "روبرت" . خرج من غرفته ليعرف ماذا يحدث .

قالت "چيسيكا" مفسرة:

- لقد تناقشت "راشيل" مع ابنتها نقاشا حادا . اختفت "لورا" ، يمكنك أن تعود للنوم ياعزيزي .

لقد نالت "راشيل" مايكفي من هذه الأكاذيب. "لورا" و"بن" يعرفان الحقيقة . قريبا سوف يعرف الجميع الحقيقة .

قالت :

- لقد اكتشفت "لورا" أن "بن" أبوها .

ساد صمت مفزع عليهما. حملق إليها والداها غير مصدقين .

- هل أزعجها ذلك ..

صاح والدها فجأة:

- هل كانت فعلة "هيلي" الشائنة ؟ هذا المتجاسر . هل واتته

www.liilas.com

الشجاعة ليعود هنا كما لو أن شيئا لم يحدث ؟

قالت "راشيل" :

- أبي كان يجهل كل شيء . عندما كتبت له في الجامعة ، كان قد التحق بالبحرية .

- هذا الوغد ..

تدخلت "جيسيكا" :

- "روبرت" ! مايهم الآن هو إيجاد "لورا" (التفتت نحو ابنتها وعيناها تفيضان بالحنان) هل بحثت في كل مكان ؟ هل سألت عند آل "فورستر"؟

- لا ، لم أفكر في ذلك .

ومع ذلك ، لايمكن لـ"لورا" إلا أن تكون هناك .

قالت "جيسيكا" :

- سأتصل بهم .

نزلت بسرعة إلى الطابق الأرضي . بقيت "راشيل" بمفردها مع والدها .

تمتم "روبرت" :

- سأحطم عنقه .

أخيرا وانت "راشيل" الشجاعة لتنظر في عينيه .

- أبي . إنها غلطتي كما هي غلطته . كنت أعرف ماذا أفعل .

حتى إذا كانت تلك السنوات الأولى صعبة ، فإني لا أندم على شيء. إني أحب "لورا" كثيرا.

- كان يجب أن ..

قالت "جيسيكا" :

- لم يشاهدها آل "فورستر" منذ الصباح . لابد أنها خرجت من الحرم الجامعي .

فكرت "راشيل" : ياإلهي ، في أي مكان تكون ، وضعت يديها على وجهها محاولة التفكير . أين تستطيع "لورا" أن تختبئ ؟ هل ستهيم

على وجهها في المدينة ؟

قالت :

-سأجول بالسيارة ربما أعثر عليها

قالت أمها :

- سننتظر هنا .

بعد نصف ساعة من الطواف بالسيارة في أنحاء "ديبيك" دون جدوى تملك "راشيل" شعور بالفزع . أين ابنتها ؟

على أية حال لا تعرف "لورا" كل المدينة ، إنها لاتعرف سوى الجامعة، الميدان ، والمنتزه "إيجل بوينت" ، لكن كيف لم تفكر في ذلك .

أخذت "راشيل" اتجاه المنتزه . كانت متأكدة أنها ستجدها هناك نزلت من السيارة وسارت على الدرب المحاذي للنهر .

انقسم الطريق إلى اتجاهين. اختارت "راشيل" ذلك الذي يؤدي إلى الغابة . تسلقت ربوة . ثم نزلت منحدرا . وجدت نفسها أمام الكوخ الذي كانت تتقابل فيه مع "بن" . في هذا المكان وجدت "لورا" ، جالسة على صخرة كبيرة ، رأسها مختبئ بين ساقيها . جلست بجانبها وأحاطت كتفيها بذراعها .

- صباح الخير يا عزيزتي .

رفعت "لورا" إليها عينيها مبللتين بالدموع . عندما رأت والدتها لم تكن غاضبة ، ارتمت في أحضانها وانخرطت في موجة من البكاء .

انتحبت :

- آسفة يا أمي . لقد تصرفت بطريقة شائنة .

- لم أكن على مايرام في الأيام الماضية .

- كان عليك أنت أن تخبريه بالحقيقة .

أجابت وهي تبعد خصلة شعر عن وجه ابنتها :

- توفرت لي العديد من الفرص إلا أني كنت اتراجع في كل مرة.

- لا، بما أنك كتبت له عندما كنت حاملا .

ابتسمت "راشيل" عندما رأت "لورا" تدافع عنها .

www.liilas.com

- لكنه لم يتسلم خطابي . كنت اعتقد انه في "دارماوس" لكني عرفت في الأسبوع الماضي انه كان قد ترك الدراسة ليلتحق بالبحرية .

- لماذا لم تكتبي له عن طريق أسرته ؟

- كان عم "بن" يعمل تحت إدارة جدك وخشيت أن أرسل لـ"بن" خطابا بواسطة شخص يعرفني .

- هل كنت تعتقدين أن جدي سيفتح خطاباتك ؟

- كنت خائفة . هذا كل شيء .

نهضت "لورا" وجففت دموعها .

- هل غضب "بن" ؟

- لست أدري لكن من حقه أن يغضب . لقد ارتكبت العديد من الأخطاء . (مدت يدها بمنديل إلى "لورا") لكن كيف عرفت الحقيقة؟

قالت وهي ترفع كتفيها .

- لست أدري . "العينان أولا" . ثم إنك قلت : إن والدي كان يقضي الصيف مع أسرته وهذا ما رواه "بن" . وكان يعرف أن جدي لايسمح لك بالخروج ليلا وسلسلة من التفاصيل الأخرى .

- لكن بما أنك تعرفين . لماذا كل هذا العداء الموجه لـ"بن" ؟

أنت التي كنت ترغبين - بشدة - اللقاء بوالدك !

قالت "لورا" دون تفكير :

- لأنه لم يعرفني . ربما يبدو ذلك ضربا من الحماقة لكني تمنيت أن يتعرف علي كابنته .

- كيف كان له أن يعرف ذلك ؟

أجابت بمرارة :

- كما عرفت أنا أنه والدي .

- لكن هذا مستحيل يا "لورا" .

احتضنت "راشيل" ابنتها .

- عزيزتي . إنه لم يرد أن يجرحك . لقد نسجت شبكة من الأكاذيب لحمايتنا .

- أعرف . لكن لم يمنعني ذلك من الأمل .

- وأنا من ناحيتي كنت أبحث عن حل سهل أكشف به الحقيقة لـ"بن" .

قالت "لورا" :

- على الأقل لقد حللت هذه المشكلة .

قهقهت "راشيل" . نهضت الاثنتان .

قالت "راشيل" وهي تتأمل الكوخ :

- من الغريب أن تأتي إلى هنا . إن هذا هو ملاذنا انا و"بن" .

- أعرف . لقد أشار "بن" إلى هذا المكان عندما كان يتحدث عن المنتزه.

سلكا طريق السيارة .

- أشعر انني لابد أن أنتبه إلى ما أقول من الآن فصاعدا .

تحدثتا قليلا حتى وصلتا إلى الجامعة .

سألتها "لورا" :

- هل جدي وجدتي على علم بما حدث ؟

أومأت "راشيل" برأسها:

- هل جدي غاضب ؟

قالت "راشيل" :

- إنه غاضب جدا .

دخلتا البيت عن طريق الباب الخلفي .

قالت "چيسيكا" وهي تندفع نحو المطبخ :

- راشيل ؟ هذا أنت ؟ هل وجدتها ؟

عندما رأت "لورا" تتقدم في خجل وراء أمها ، أسرعت تأخذها بين ذراعيها .

(٩)

بعد ١٥ سنة ...!

www.liilas.com

صاحت بها في لطف :

- لايجب أن تفعلي ذلك بنا .

وبكت الاثنتان .

- "جيسيكا" ! هل وجدتها "راشيل" .

دخل "روبرت" المطبخ . رفعت "لورا" بصرها نحو جدها دون أن تتحرك . تأمل مشهد هن الثلاثة بنظرة حزينة . لم تستطع "راشيل" أن تتبين إذا كان ذلك حزنا أم غضبا .

الفصل الثاني عشر

قالت "لورا" وهي تبكي بكاء حارا :

- أرجوك يا جدي ، لاتغضب مني .

قبل "روبرت" حفيدته .

قال :

- لست غاضبا منك .

اعتلى وجه الأربعة مسحة حنان . وعلى الرغم ، من أهمية غفران وتسامح والدها ، كان أمام "راشيل" اختبار آخر : أن تتحدث مع "بن" وتتمنى أن يفهمها هو أيضا .

فجأة ، دق جرس التليفون والباب في نفس الوقت . ابتسمت والدة "راشيل" وأسرعت "راشيل" لتفتح الباب ، وتولت والدة "راشيل" الإجابة على التليفون . تعرفت "راشيل" على رئيس مجلس إدارة الجامعة .

- تفضل ياسيد "ويكر شام" .

- صباح الخير يا "راشيل" هل يمكنني رؤية والدك ؟

آسف لإزعاجه ، لكن الأمر عاجل .

www.liilas.com

أجابت "راشيل" وقد أقلقها قليلا لهجته الملحة .

- بالتأكيد ، ساخبره (جعلت الزائر ينتظر في الصالون) ساعود.

عادت إلى المطبخ حيث مازالت ابنتها ووالدها يتبادلان القبلات.

- السيد "ويكر شام" طلب رؤيتك يا أبي . يقول : إن الأمر عاجل.

قال "روبرت" بعد لحظة دهشة :

- هيا .

اصطحب "لورا" معه .

همست "چيسيكا" إلى ابنتها :

- إنه "بن" من اتصل .

- هل أراد محادثتي ؟

هزت "چيسيكا" رأسها في حزن .

- أراد فقط أن يطمئن أننا وجدنا "لورا" . كان قلقا بشأنها . السيد "ويكرشام" قد دهش من أن يجد أمامه عائلة "ديبرس" كلها لم يبد أي شيء وذهب إلى هدفه .

- استقال البروفيسور "هيلي" .

تعجبت "راشيل" :

- ماذا ؟

- تنازل عن الرئاسة لصالحك .

أجاب البروفيسور "ديبرس" بصوت قاطع :

- أنا لا أريد . لم أعد أقدر على مسؤوليات هذا المركز .

قال "جورج" :

- أدرك "بن هيلي" أن المجلس يريد عودتك . وقرر لصالح الجامعة أن يسحب ترشيحه . حاولت أن أثنيه عن ذلك لكنه رفض كان يكرر دون توقف "حان وقت الرحيل" .

همست "لورا" :

- هذا خطئي .

- لاتتفوهي بالحماقات .

كانت "راشيل" هي الشخص الوحيد الذي يقع عليها اللوم . كان لابد أن تقول الحقيقة لـ"بن" منذ أسابيع .

قالت "راشيل" :

- ساتحدث إليه . ساخبره بأن الجامعة بحاجة إليه . سأعرف كيف أقنعه .

من السهل أن تقول ذلك ، لكن كيف لها التنفيذ ؟

كانت تفكر وهي تعبر الحرم الجامعي . رنت خطواتها في البهو التذكاري لمبنى الإدارة الغارق في الظل والصمت .

اتجهت نحو نزل الطلبة حيث يقيم "بن" بشكل مؤقت. عندما كانت تفتح باب الطابق الأول سمعت أصواتا في طرف الردهة . كان هناك .

وصلت "راشيل" بعد قليل إلى عتبة شقة صغيرة . كانت حجرة المعيشة خاوية . لابد أنه في حجرة النوم . تقدمت بضع خطوات .

قالت :

- صباح الخير .

كان "بن" يملأ حقيبته . ألقى نظرة سريعة في اتجاهها .

أجاب :

- صباح الخير .

قالت :

- "بن" ، أنا آسفة .

اختفى في الحمام : سمعته يجمع أدوات الحمام . عضت "راشيل" شفتيها ، تبحث دون جدوى عن كلمات سحرية تعيده إليها . أخذت تجمع بشكل تلقائي أزواج الجوارب الموضوعة فوق السرير .

قال :

- ماذا تفعلين ؟

- جواربك ..

- ألا تكفين عن ذلك ؟ لاتلمسي شيئا .

هدأت ثورته فجأة كما بدأت . ثبت نظره لحظة على السيدة الشابة

www.liilas.com

أجابت "راشيل" وقد أقلقها قليلا لهجته الملحة .

- بالتأكيد ، ساخبره (جعلت الزائر ينتظر في الصالون) ساعود.

عادت إلى المطبخ حيث مازالت ابنتها ووالدها يتبادلان القبلات.

- السيد "ويكر شام" طلب رؤيتك يا أبي . يقول : إن الأمر عاجل.

قال "روبرت" بعد لحظة دهشة :

- هيا .

اصطحب "لورا" معه .

همست "چيسيكا" إلى ابنتها :

- إنه "بن" من اتصل .

- هل أراد محادثتي ؟

هزت "چيسيكا" رأسها في حزن .

- أراد فقط أن يطمئن أننا وجدنا "لورا" . كان قلقا بشأنها . السيد "ويكرشام" قد دهش من أن يجد أمامه عائلة "ديبرس" كلها لم يبد أي شيء وذهب إلى هدفه .

- استقال البروفيسور "هيلي" .

تعجبت "راشيل" :

- ماذا ؟

- تنازل عن الرئاسة لصالحك .

أجاب البروفيسور "ديبرس" بصوت قاطع :

- أنا لا أريد . لم أعد أقدر على مسؤوليات هذا المركز .

قال "جورج" :

- أدرك "بن هيلي" أن المجلس يريد عودتك . وقرر لصالح الجامعة أن يسحب ترشيحه . حاولت أن أثنيه عن ذلك لكنه رفض كان يكرر دون توقف "حان وقت الرحيل" .

همست "لورا" :

- هذا خطئي .

- لاتتفوهي بالحماقات .

كانت "راشيل" هي الشخص الوحيد الذي يقع عليها اللوم . كان لابد أن تقول الحقيقة لـ"بن" منذ أسابيع .

قالت "راشيل" :

- ساتحدث إليه . ساخبره بأن الجامعة بحاجة إليه . سأعرف كيف أقنعه .

من السهل أن تقول ذلك ، لكن كيف لها التنفيذ ؟

كانت تفكر وهي تعبر الحرم الجامعي . رنت خطواتها في البهو التذكاري لمبنى الإدارة الغارق في الظل والصمت .

اتجهت نحو نزل الطلبة حيث يقيم "بن" بشكل مؤقت. عندما كانت تفتح باب الطابق الأول سمعت أصواتا في طرف الردهة . كان هناك .

وصلت "راشيل" بعد قليل إلى عتبة شقة صغيرة . كانت حجرة المعيشة خاوية . لابد أنه في حجرة النوم . تقدمت بضع خطوات .

قالت :

- صباح الخير .

كان "بن" يملأ حقيبته . ألقى نظرة سريعة في اتجاهها .

أجاب :

- صباح الخير .

قالت :

- "بن" ، أنا آسفة .

اختفى في الحمام : سمعته يجمع أدوات الحمام . عضت "راشيل" شفتيها ، تبحث دون جدوى عن كلمات سحرية تعيده إليها . أخذت تجمع بشكل تلقائي أزواج الجوارب الموضوعة فوق السرير .

قال :

- ماذا تفعلين ؟

- جواربك ..

- ألا تكفين عن ذلك ؟ لاتلمسي شيئا .

هدأت ثورته فجأة كما بدأت . ثبت نظره لحظة على السيدة الشابة

www.liilas.com

ثم ترك نفسه ليسقط على حافة السرير ورأسه بين كفيه .

- لماذا لم تخبريني بشيء ؟

أجابت :

- حاولت . كتبت لك على عنوان الجامعة عندما عرفت اني حامل.

- كنت قد رحلت .

هزت كتفيها معربة عن عدم حيلتها .

- عرفت ذلك اليوم . لكن وقتها لم أعرف كيف أفكر .

نهض فجاة .

- آه كلا ! هذا واضح جدا ! لم تكوني ساذجة إلى هذا الحد عندما كنت في السادسة عشرة بكل بساطة لم تهتمي بإخباري.

أجابت:

- "بن" ، كنت في السادسة عشرة بحق السماء ! وكنت حاملا ومشوشة . كان لي الحق أن أظن انك تخليت عني. لاخطاب ، ولا اتصال هاتفي ولا شيء . لم أكن أعرف ماذا أفعل .

قال بصوت قوي :

- هذا لايفسر لماذا لم تتحدثي في الأسابيع الماضية . لماذا لم تقولي لي الحقيقة ؟

خفضت "راشيل" عينيها .

- حاولت . في كل مرة كنا معا ، لم أكن أفكر إلا في ذلك. كانت هناك مشكلة مجلس الإدارة . ولم أجد أبدا اللحظة المناسبة .

رد ساخرا :

- لم تجدي أبدا اللحظة المناسبة ؟ استمررت إذن في الكذب .

قالت معترفة :

- كذبت على الجميع وعانينا جميعا ذلك . انت ، وانا ، و"لورا".

- وليس "ديفيد" .

- لا ، أرجوك ! "ديفيد" كان دائما طيبا معنا . لست أدري أين كنا سنعيش بدونه . اكرهني كما تشاء لكن لاتلق على عاتقه أخطائي .

تنهد "بن":

- أنا لا أكرهه . يجب أن أعترف بفضله لأنه ساعدكما . كان ذلك واجبي أنا .

قالت بصوت مخنوق :

- هل عزمت الرحيل يا"بن" .

- لماذا أبقى ؟ "لورا" تكرهني . وأنت لاتحتاجين إلي والجامعة ترشح والدك. إن ذلك بات جليا بالنسبة لي .

فتح درج الدولاب وأخرج مجموعة قمصان بعناية .

- كل ذلك ليس إلا حججا . (جلست على مقعد بعد أن أبت ساقاها أن تحملاها) أنت راحل لأنك لاتريد أن تسامحني .

قال :

- هذه ليست المشكلة . المشكلة أنك لاتحتاجين إلي .

نهضت :

- هذا ليس صحيحا يا"بن": أحبك .

- أنت لاتحتاجين إلي .

استدار ، متجاهلا دموعها المنهمرة فوق خديها .

- أنت تعرف أنني لم أذق السعادة إلا في الأسبوعين الماضيين اللذين أمضيناهما معا .

- أنت لاتحتاجين إلي . أنت لم تطلبي مساعدتي .

- لأني اعتدت على أن أتصرف بمفردي .

أغلق الحقيبة ووضعها جانبا . كان ينوي الرحيل حقا .

قالت "راشيل" :

- ستهجرنا إذن حقا مرة أخرى أنا و "لورا" .

- أود أن أظل على اتصال بـ"لورا" حتى لو لم ترد . ربما استطعت أن أساعدكما ماديا .

- نعم ، أن تدفع المصروفات وتظل غائبا . إن ذلك شائع هذه الأيام .

- هذا هو اختيارك .

www.liilas.com

ثم ترك نفسه ليسقط على حافة السرير ورأسه بين كفيه .

- لماذا لم تخبريني بشيء ؟

أجابت :

- حاولت . كتبت لك على عنوان الجامعة عندما عرفت اني حامل.

- كنت قد رحلت .

هزت كتفيها معربة عن عدم حيلتها .

- عرفت ذلك اليوم . لكن وقتها لم أعرف كيف أفكر .

نهض فجاة .

- آه كلا ! هذا واضح جدا ! لم تكوني ساذجة إلى هذا الحد عندما كنت في السادسة عشرة بكل بساطة لم تهتمي بإخباري.

أجابت:

- "بن" ، كنت في السادسة عشرة بحق السماء ! وكنت حاملا ومشوشة . كان لي الحق أن أظن انك تخليت عني. لاخطاب ، ولا اتصال هاتفي ولا شيء . لم أكن أعرف ماذا أفعل .

قال بصوت قوي :

- هذا لايفسر لماذا لم تتحدثي في الأسابيع الماضية . لماذا لم تقولي لي الحقيقة ؟

خفضت "راشيل" عينيها .

- حاولت . في كل مرة كنا معا ، لم أكن أفكر إلا في ذلك. كانت هناك مشكلة مجلس الإدارة . ولم أجد أبدا اللحظة المناسبة .

رد ساخرا :

- لم تجدي أبدا اللحظة المناسبة ؟ استمررت إذن في الكذب .

قالت معترفة :

- كذبت على الجميع وعانينا جميعا ذلك . انت ، وانا ، و"لورا".

- وليس "ديفيد" .

- لا ، أرجوك ! "ديفيد" كان دائما طيبا معنا . لست أدري أين كنا سنعيش بدونه . اكرهني كما تشاء لكن لاتلق على عاتقه أخطائي .

تنهد "بن":

- أنا لا أكرهه . يجب أن أعترف بفضله لأنه ساعدكما . كان ذلك واجبي أنا .

قالت بصوت مخنوق :

- هل عزمت الرحيل يا"بن" .

- لماذا أبقى ؟ "لورا" تكرهني . وأنت لاتحتاجين إلي والجامعة ترشح والدك. إن ذلك بات جليا بالنسبة لي .

فتح درج الدولاب وأخرج مجموعة قمصان بعناية .

- كل ذلك ليس إلا حججا . (جلست على مقعد بعد أن أبت ساقاها أن تحملاها) أنت راحل لأنك لاتريد أن تسامحني .

قال :

- هذه ليست المشكلة . المشكلة أنك لاتحتاجين إلي .

نهضت :

- هذا ليس صحيحا يا"بن": أحبك .

- أنت لاتحتاجين إلي .

استدار ، متجاهلا دموعها المنهمرة فوق خديها .

- أنت تعرف أنني لم أذق السعادة إلا في الأسبوعين الماضيين اللذين أمضيناهما معا .

- أنت لاتحتاجين إلي . أنت لم تطلبي مساعدتي .

- لأني اعتدت على أن أتصرف بمفردي .

أغلق الحقيبة ووضعها جانبا . كان ينوي الرحيل حقا .

قالت "راشيل" :

- ستهجرنا إذن حقا مرة أخرى أنا و "لورا" .

- أود أن أظل على اتصال بـ"لورا" حتى لو لم ترد . ربما استطعت أن أساعدكما ماديا .

- نعم ، أن تدفع المصروفات وتظل غائبا . إن ذلك شائع هذه الأيام .

- هذا هو اختيارك .

www.liilas.com

- واليوم هو اختيارك انت .

- "لورا" لاتهتمي برحيلي .

فتح الخزانة . لم يعد هناك إلا زوج جوارب دسه في الحقيبة .

- أنت مخطئ . إنها تحتاج إليك . إنها تتألم لأنك لم تعرف أنها ابنتك .

قال :

- والجامعة ؟ لاتقولي لي : إن مجلس الإدارة اختار ترشيحي .

- أبي لايريد وظيفته .

عقد حاجبيه .

قالت "راشيل" :

- كان يجد صعوبة في الرحيل لكنه أدرك أنه لم يعد قادرا على تحمل مسؤوليات عمله كرئيس .

انفلتت زفرة ألم من بين شفتي "بن" .

قال :

- لن يفلح ذلك . سابقى إذا استطعت أن أصدق أنك تحبينني مثلما أحبك .

عاد الأمل إلى "راشيل" .

- هل تعترف أنك تحبني .

أجاب :

- أحبك بالتأكيد . كما أحببتك دائما . ولهذا أشعر بالألم لاكتشافي أنك لاتحتاجين إلي .

- لكن كيف سيجلب لك رحيلك السعادة ؟

- أن أبقى ، ولا أمثل شيئا في حياتك . لن يجعلني - ذلك - سعيدا على الإطلاق .

- "بن" نحن ندور في دائرة مفرغة .

لم يسمعها ، تفحصت عيناه الحجرة للمرة الأخيرة . يجب أن تمنعه من أن يرحل مهما كانت الطريقة . ستستولي على مفاتيح سيارته التي

مازالت على المكتب .

قالت وهو يمد يده إليها:

- هيا يا "راشيل" ، لاتتصرفي كالأطفال .

- لن افقدك من جديد .

استدارت في اتجاه النافذة والقت بالمفاتيح .

- "راشيل" !

سقطت المفاتيح في النافورة وبهذا فقدت نهائيا .

غادر الغرفة مسرعا .

صاحت وهي تركض خلفه :

- أحبك .

كان قد سبقها وعندما لحقت به عند النافورة كان قد خلع حذاءه وجوربه ورفع بنطلونه .

نظر إليها شذرا . خلعت بدورها حذاءها ونزلت في حوض النافورة. كان الماء دافئا ولكن القاع أملس . تقدمت بحرص .

سألها :

- ماذا ستفعلين هذه المرة ؟ ستبتلعينها ؟

- فكرة جيدة !

دخل "بن" الماء وأخذ يبحث عن المفاتيح .

تمتم :

- هذا عمل غوغائي .

- تبدو أحمق في هذه الحلة ورجلا البنطلون مرفوعتان.

لمحت فجأة ضوءا فضيا في القاع عند قدم أحد التماثيل . أسرعت بقدر استطاعتها .

سألها وهو يقترب :

- هل رأيتها ؟

كيف تمنعه من أن يستردها ؟ بما أنها لاتستطيع أن تبتلعها ، اختارت حلا آخر وهو أن تجلس فوقها .

www.liilas.com

وصل الماء حتى رقبتها .

- "راشيل" اعطني هذه المفاتيح .

- تعال إذن لتاخذها .

تقدم بحرص خطوة ، اثنتان ، كان امامها . مد يده :

أمسكتها "راشيل" وسحبتها بكل قوتها . انزلقت قدماه ووجد رأسه في الماء .

قالت مبتسمة وهي ترفع رأسه من الماء :

- صباح الخير .

- "راشيل" ، ماذا يعني ذلك .

لم يبد غاضبا ، رغم سوء حالة ملابسه . لقد هدا هذا الحمام الجبري من ثورته .

همست "راشيل":

- هل تعلم ماذا يحدث لمن يستحمون معا في هذه النافورة ؟

لم يستطع أن يقمع ابتسامة واهنة .

قالت وهي تحتوي وجهه بين يديها :

- احبك يا "بن" . ارتكبت أخطاء في الماضي لكنك لي .

لا أستطيع أن أتخيل الحياة بدونك .

- "بن" سأقدمك لأسرتي كما طلبت مني دائما . ماذا تريد أكثر من ذلك. أضاءت وجه "بن" ابتسامة عريضة . احتضن السيدة الشابة .

أجاب :

- لست أدري بعد . لكني سأفكر .

قالت :

- لاتجرب حظك كثيرا .

كانت قبلتهما وعدا بحب وسعادة دائمة .

سمعا صوتا خلفهما :

- أنا أيضا ياجدي . أجد ذلك مناسبا جدا . كنت اعتقد ان الاستحمام في النافورة ممنوع .

ابتعد "بن" و"راشيل" ووقفا وسارا حتى حافة الحوض حيث كان ينتظرهما "لورا" و"روبرت" .

قالت "راشيل" :

- أبي ، أقدم لك "بن هيلي" رئيس الجامعة الجديد.

تصافح الرجلان بحرارة .

قال "بن" :

- أنا سعيد بمقابلتك ولي كل الشرف لأن أكون خليفتك .

قال "روبرت" وهو ينظر مباشرة إلى عينيه :

- لن تستقيل إذن . عظيم . لكن إذا كنت متقدما في السن على أن اتحمل مسؤولية الارتقاء بالجامعة . أود أن أستمر في تدريس المحاضرات .

أكد "بن" :

- أنا متاكد أننا سنجد حلا يرضي كل الأطراف .

قالت بصوت مفعم بالحنان :

- "لورا" أقدم لك أبا لك .

بقيت الفتاة المراهقة صامتة . عيناها مثبتتان على عيني "بن" .

وجهها يعكس عصبية واضحة وشيئا آخر . فكرت راشيل : الأمل !

تضرع إلى "بن" في داخله لكي يقول شيئا يطمئن الفتاة .

لكن كانت "لورا" هي من بدأت الحديث .

- أسفة على ما قلته منذ قليل . في الحقيقة ، غالبا ما أرتكب الحماقات . لقد قاست أمي كي تحثني على الصراط القويم .

اعترضت "راشيل":

- "لورا" !

- أعتقد أنها بحاجة لمن يعاونها في تربيتي .

سألها "بن":

- هل أنت متاكدة يا "لورا" ؟ هل تريدينني أن ابقى؟

اشارت (نعم) برأسها .

www.liilas.com

- في الحقيقة أنا من أقاسي مع أمي حتى تحافظ على الصراط القويم . أنا من تحتاج المساعدة .

قال "بن" :

- هذا لايدهشني . لقد قذفت بمفاتيحي في الحوض وترفض أن تسلمها لي .

سألت "لورا" :

- هل أذهب لأحضرها ؟

قال "روبرت" :

- حان الوقت لكي أنسحب . إني أحافظ على سمعتي .

صاحت "لورا" فجاة في قلق :

- جدي !

- يجب أن أتحدث مع جدتك . الحقي بأبويك يا عزيزتي وتذكري أننا ننتظركم على العشاء . وفي هيئة مناسبة .

قفزت "لورا" في الحوض .

قال "بن" مبتسما إلى "روبرت" :

- سنكون في الموعد .

أحاط "راشيل" بذراعه و "لورا" بالأخرى .

قال وهو ينظر للواحدة تلو الأخرى :

- لن يرحل أحد . نحن في بيتنا .

تمت

www.liilas.com